

5 me Année, No. 209

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

Lundi - 5 - 7 - 1937

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العــدد ٢٠٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ — ٥ يولية سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العــدد

الجيـــل الجديد

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

زارنى منذ بضعة أيام عدد من شبان هذا الزمان فنظرت إلى ثيابهم الجميلة وتفصيلها المحبوك على قدودهم الممشوقة وتحسرت على أيامنا . وكان بينهم واحد يلبس بنطلوناً قصيراً فقلت له : « أتلبس هذا عادة ؟ » قال : « نعم . سبور » قلت : « فى أى مدرسة أنت ؟ » قال : « فى الخديوية » قلت : « اسمع . أنا أيضاً كنت تلميذاً فى المدرسة الخديوية ولا أذكر أنى رأيت فيها ـ فى تلك الأيام ـ تلميذاً يلبس بنطلوناً قصيراً ، لا أدرى لماذا ؟ ربما كانت الروح « الاسبور » تنقصهم فى تلك الأيام ، ولكنى أعرف أيضاً أنى فى صغرى كنت لا أقبل أن ألبس هذا البنطلون القصير ... كان أخى الأكبر يأخذنى قبيل افتتاح المدارس إلى محل « ماير » ، وكان أشهر محلات الثياب فى تلك الأيام ، فيعرض على البائع أمثال هذا البنطلون فأقول لأخى : هذه سراويل لا بنطلون ، وآبى كل الإباء أن أتخذها ، وأصر على البنطلون الطويل فيضحك أخى ويقول للبائع : «هات له بنطلوناً طويلا . . إنه يريد أن يكون رجلا ويحس أنه رجل ، فلا داعى للتنغيص عليه » . . وأنا أفهم أن تلبس هذا القصير

حين تلعب ولكن الحياة ليست كلها لعبا . . فيها ساعات للعمل والجد على ما أظن »

فقال أحد زملائه : « إنه لا يزال صغيرا »

قلت : « لا أدرى . لقد كنت أنا أيضا صغيراً لما كنت أرفض ارتداء هذا البنطلون . كنت فى التاسعة من عمرى يومئذ . وأحسب أن من كان فى التاسعة جدير بان يسمى صغيرا . . وليس للإحساس بالرجولة وقت معين أو سن مخصوصة . . فتى تريد يا صاحبى أن تشعر أنك رجل ! »

والتفت إلى إخوانه وقلت لهم : « ليت واحداً منكم يقول لى كيف تقضون يومكم »

فترددوا ، وصار واحد منهم يبتسم ، وثان يفرك يديه ، وثالث يتمتم بكلام غير مسموع فقلت لهم : « أنا أصف لكم كيف كنا نقضى اليوم فى حداثتنا ... كان بيتنا فى ذلك الوقت عتيقاً جداً ، وله فناء واسع كبير فيه شجرة جميز ضخمة . وكان فى الفناء « حاصل » رحيب فيه أيضا بئر ، فكنت أستيقظ فى الساعة الخامسة صباحاً — صيفاً وشتاء — فأنحدر إلى هذا الحاصل وأدلى دلوى فى البئر فأملأه وأصبه على بدنى — بعد خلع ثيابى طبعاً . كان هذا يقوم عندى مقام « الدوش » فى أيامنا هذه ... فقد كان الماء يحمل إلى البيوت فى القرب على ظهور السقائين لا فى الأنابيب كما هو الحال اليوم ... ثم أصعد إلى المسكن فأفطر وأتناول كتاباً وأقرأ حتى يدنو موعد المدرسة فألبس ثيابى بسرعة ... فى دقيقة واحدة بلا مبالغة ، وما زلت الآن قادراً على ارتداء الثياب فى مثل هذا الوقت القصير ... أى فى دقيقة ... وأحسب أنى لو عملت فى فرقة تمثيلية لأدهشت المتفرجين بسرعة اللبس ... ما علينا ... انما ذكرت هذا لأنى رأيت كثيرين يضيعون ساعات فى ارتداء الثياب : يقفون أمام المرايا ويتأملون أنفسهم فى صقالها من الخلف والأمام ومن اليمين والشمال كأنهم سيعرضون فى مسابقة للجمال ، أو كأن أهم عمل للانسان فى هذه الحياة هو أناقة الملبس وحسن البزة وجمال الهندام . اذا مالت ربطة الرقبة نصف ملليمتر كان هذا عيباً فظيعاً ؛ واذا كانت هناك ذرة واحدة من التراب على نعل الحذاء خربت الدنيا وقامت القيامة فى البيت على الخادمة المهملة . ما علينا كما قلت . ثم أذهب أجرى الى المدرسة أجرى بالمعنى الحرفى لأنى كنت أقرأ فلم أجعل بالى إلى الوقت وموعد المدرسة . وما أكثر ما كنت أجرى وفى يدى ربطة الرقبة فلا يتيسر لى أن أضعها حول رقبتى إلا فى الصف أو فى المكتب . ولو تخلفت عن المدرسة لما كان فى ذلك بأس ولا منه ضير ، فقد كنت أنا ولى أمر نفسى ، ولكننا كنا نحب المدرسة وكانت لنا رغبة فى التعلم . وينقضى اليوم المدرسى فنكر راجعين إلى بيوتنا ثم نخرج للرياضة والنزهة والترويح عن النفس ساعة أو ساعتين

وأذكر لكم شيئاً . . كنا ثلاثة أو أربعة لا نكاد نفترق . ولم نكن فى مدرسة واحدة ولكننا كنا نلتقى بعد المدرسة فى بيت أحدنا ومعنا كتبنا أو بعضها فنتبادل الدروس التى تلقيناها فى يومنا ، ثم نمضى إلى قصر النيل أو غيره — على أرجلنا — فاذا كان اليوم يوم خميس ركبنا زورقاً على النيل وكان أبو أحدنا رجلا فيه شذوذ ، فكان يتفق أن يجىء إلى بيتى ويقف فى الفناء الرحيب تحت الجميزة ويصفق ، حتى إذا شعر أن أحداً أطل من النوافذ العليا كف عن التصفيق وانطلق يصيح : « ياأهل عبد القادر . . حوشوا ابنكم عن ابنى . . أفسد أخلاقه وعلمه السهر إلى الساعة اثنين » فيخيل لمن يسمعه يصيح أننا نسهر إلى الساعة الثانية صباحاً أى بعد منتصف الليل ، ولكنه كان يعنى الساعة الثانية بالحساب العربى : أى العشاء أو بعد ذلك بقليل ... »

فقال أحد الشبان : « لم يكن فى أيامكم سينما ولا غيرها من الملاهى التى تضيع الوقت »

فقلت : « إن اللهو ميسور فى كل وقت . وطالبه لا يعدمه فى أى مكان أو زمان . والمهم هو إرادة اللهو لا اللهو فى ذاته . وأنا أراكم تريدون الحياة كلها لهوا لا جد فيها ولا عمل ؛ وهذا هو الفرق بيننا وبينكم ، فقد كنا ندرك أن للهو ساعات لا ينبغى أن نعدوها ، أما أنتم فلا يكاد الواحد منكم يدرك أن للعمل وقتا أو أن العمل واجب . . تريدون اللقمة ممضوغة بل مهضومة قبل أن تضعوها فى أفواهكم ، بل أنتم لا تريدون أن تكلفوا أنفسكم عناء بلعها وازدرادها . . من منكم يعنى بأن يفتح كتابا غير كتب المدرسة ؟ لقد كنا نذهب إلى المكاتب

ونبحث فيها عما نريد من الكتب . . وأنتم تنشر لكم الصحف اعلانات مشوقة مرغبة مغرية عن الكتب فلا يخطر لأحدكم أن يشترى منها كتابا . . حتى كتب المدرسة لا تقرأونها . . وشكوا كم أبدا من الامتحان وصعوبته . . وسعيكم دائما إلى التسهيل والتخفيف والرأفة . . وما أحسبكم تطلبون إلا أن تعطوا الشهادات بلا امتحان . . والوظائف بلا استحقاق . .

وقد سمعت بعضهم يقول إن الجرائد والمجلات تشغل الطلبة فى هذه الأيام عن الدرس والتحصيل، وأعتقد أن هذا كلام فارغ فقد كانت فى أيامنا جرائد ومجلات كنا نقرأها جميعاً . . اللواء والمؤيد والجريدة والمقطم والدستور والهلال والمقتطف، بل كنا نذهب إلى دار الكتب لنقرأ فيها المجلات القديمة مثل الضياء والبيان لصاحبهما المرحوم اليازجي ... وكذاب من يقول إنكم تقرأون الصحف، فما تقرأون فيها حين ترونها إلا أخبار الامتحان والاضراب والمظاهرات الساعية إلى الوزارات تستجدى النجاح ... وما تقرأون إذ تقرأون إلا المجلات الهزلية لأن حياتكم هزل بحت »

فقال أحدهم : إن الحركة الوطنية هى المسئولة عن انصراف الطلبة عن التحصيل . فلم يقنعنى قوله هذا وبينت له أن الحركة الوطنية كانت أيضاً فى أيامنا ... بل كانت فى ذلك الوقت أحمى ، وكان مصطفى كامل يقيم البلاد ويقعدها بخطبه ومقالاته اليومية ، ولكن قراءة المقال أو سماع الخطبة لا يستغرق اليوم كله ولا يستنفد الجهد أجمعه ... وقد كانت هناك فى أيامنا جمعيات أدبية شتى وكنا نعنى بأن نشهدها كلها . ولو أن جمعية أدبية قامت فى زماننا هذا لما حضرها إلا مؤسسوها ... وحتى هؤلاء فى مواظبتهم على الحضور شك كبير . . وفى كل أمة صحف ومجلات وأمور تشغل أبناءها ، وما أظن أن أحداً سيدعى أن مشاغلنا أكبر من مشاغل الشعب البريطانى أو الألمانى أو الفرنسى . . ومع ذلك لا نرى هذه البلادة المخيفة والانصراف المؤنس عن الجد

وقصصت عليهم قصة فقلت : « إنى بعد أن تخرجت من مدرسة المعلمين العليا وأصبحت مدرسا اتفق يوماً ان كنت جالسا فى مقهى بميدان قصر النيل ـ ميدان الاسماعيلية الآن ـ وكان معى كتاب «حديث المائدة» لويندل هولمز ، وكنت أقرأ فيه حديث الشاعر على المائدة ، فمر بى انجليزى كان معلماً لى فى مدرسة المعلمين فخففت اليه وحييته ، فقد كنت أحبه ، فكان أول ما قاله لى : « أظن أنك لا تقرأ شيئاً فى هذه الأيام ؟ » فسألته عن سبب هذا الظن القبيح بى فقال : « ألست مدرساً وموظفا ولك مرتب تتقاضاه فى آخر كل شهر ؟ فما حاجتك إلى القراءة ؟ » وكان يتهكم . ولو أنى شئت لما عبأت بسوء رأيه هذا ولكنه شق على أن يتوهم أنى ما كنت أقرأ إلا طلباً للشهادة ورغبة فى الوظيفة ، فرجعت إلى حيث كنت قاعدا وعدت اليه بالكتاب الذى كنت أقرأ فيه ودفعت به إليه وقلت له : « اسألنى إذا شئت . . امتحنى . . نعم فانى مستعد » فابتسم وقال : إنما كنت أمزح . . لأحثك على المواظبة على الاطلاع . . وانى لأعرف أنك تحب التحصيل للتحصيل » ففرحت بهذا جدا وعدت إلى مجلسى مسرورا مغتبطاً بحسن رأى استاذى ؛ وقد لقيته بعد ذلك بسنوات طويلات المدد فى انجلترا وكنت أهم بالعودة وأتزود من مكتبة هناك فقال لى : « أراك لا تزال تقرأ ؟ » قلت : « إن لنا مثلا يقول إن الزامر يموت وأصابعه تلعب . . صار الأمر عادة يا سيدى . . لا أستطيع ان أنام إلا إذا قرأت شيئا . . لا لأنام فان الكتب لا تنيمنى ، بل لأحلق فى سماء الفكر وأرتفع لحظة عن هذه الأرض . . »

فاعتذر أحدهم بأن الدروس كثيرة وأنها مضنية ، وهذا صحيح ، فانها أكثر مما ينبغى ، ولكنى قلت لهم : إن دروسنا كانت أقل وأفرغ وكان أمرها أهون ، ولكن الذى كنا نقرأه من تلقاء أنفسنا ، بلا حث أو حض ، كان أضعاف أضعاف ما تتبرمون منه . . لقد كان أحدنا يقرأ فى الليلة الواحدة كتابا . . من منكم يعرف أن لداروين كتابا اسمه أصل الأنواع ؟ . . أو من منكم يعرف اسم داروين ؟ . . لقد قرأت هذا الكتاب الجاف فى صدر أيامى . . وقرأته بلا معين وحطمت رأسى به . . وما أكثر ما حطمت رأسى بأمثاله . . الحقيقة أنكم قوم ولا مؤاخذة فارغون . . وأنتم الذين سيكون فى أيديكم زمام هذا البلد المسكين ! »

ولا أعرف لماذا زارنى هؤلاء الشبان ، ولكنى أعرف أنهم انصرفوا راضين على الرغم من هذه العلقة !

ابراهيم عبد القادر المازنى

السندوتش والمائدة

للأستاذ عباس محمود العقاد

أدب السندوتش هو أدب الفاقة والعجلة ، وأدب المائدة هو أدب اليسار والوقار ، كما سماهما الكاتب البليغ الأستاذ الزيات وأصاب فى التسمية ، لأنها تسمية وتوصيف وتعليل فى وقت واحد

وقد ختم الأستاذ مقاله سائلا : « ليت شعرى إذا خلت أمكنة هؤلاء النفر – أدباء الكهول – الذين نبغوا بالاستعداد والاجتهاد كيف تكون حال الأدب الرفيع فى مصر ؟ أيذهبون وبطنان ما يعوّضون على رأى الأستاذ أحمد أمين ، أم يذهبون وسرعان مايُخلَفون على رأى الأستاذ العقاد ؟ »

وفى جواب هذا السؤال أيضاً لست من المتشائمين ، لأن الجواب بعضه من سر المستقبل ، وبعضه من حقائق الماضى ؛ فان وقفنا من المستقبل بين الشك والرجاء فوقفنا من الماضى أدنى إلى رجاء المتفائل ، وأقصى عن يأس المتشائم ، بل لعله موقف لا يحمل فى أطوائه غير يقين الرجاء

قبل ربع قرن من الزمان كان أناس غير قليلين يسألون كما يسأل الأستاذ الزيات اليوم : ترى من يرفع لواء الأدب بعد أعلامه البارزين فى هذه الآونة ؟ ترى هل ينطوى اللواء بعدهم أو تهيىء له الأيام أكفاً تنشره كما نشروه وتعزه كما أعزوه ؟

ولم يكن اسم واحد من الأسماء الستة أو السبعة الذين أشار إليهم الأستاذ الزيات معروفاً تلك المعرفة التى تغنى فى اجابة السؤال ؛ وربما كانوا مجهولين كل الجهل فى غير مجال الاصحاب أو مجال المتطلعين المتسمعين إلى أبعد الأصداء ؛ فكان الجواب الغالب على الألسنة أن المستقبل مقفر مدبر ، وأن من مات فات وليس له لاحق بين ناشئة الجيل

فاذا سألنا فى مفرق الجيلين مثل ذلك السؤال ورأينا البوادر تملى علينا مثل ذلك من الجواب ، فليس من اللازم أن تصدق البوادر ، وأن تنقضى خمس وعشرون سنة أخرى دون أن يخلف السابقين عوض من اللاحقين ، وإن خفى نجمهم اليوم أو تراءى على الأفق تراثياً يتشابه فيه النجم والسديم

وإننا لنذكر اليوم الستة أو السبعة القائمين بأمانة الأدب وننسى الستين أو السبعين الذين كانوا يهزلون كما يهزل بعض الناشئين فى أيامنا ، ويتبلغون بالقليل من زاد الاطلاع كما يتبلغ أدباء السندوتش بيننا : نسينا أولئك الستين أو السبعين لأن الزمان قد نسيهم وعفى على أسمائهم وآثارهم ، ولكنهم كانوا فى أيامهم يحجبون الأفق ويشبّهون الشخوص على الأنظار ويبعثون اليأس ويثبطون الرجاء . فليس من البعيد أن يكون لهم نظراء يلبسون الأمر علينا ، وأن يكون للستة أو السبعة نظراء ينقشع عنهم الغبار بعد عشرة أو عشرين من السنين ، وإن جاز أن يخيب الظن كما يخيب بعض الظنون

وفى العالم كله نوازع شتى تنزع بالناس الآن إلى الأدب الرخيص أو أدب السندوتش أو أدب الفاقة والعجلة ، وقلما تختلف البلاد فى هذه النوازع على اختلاف النظم الاجتماعية والمذاهب الحكومية التى تساس بها الشعوب فى العصر الحديث

ففى البلاد الديمقراطية يكثر القارئون بين سواد الشعب ويتوخى الناشرون الرواج فيؤثرون ما هو أشيع وأيسر على ما هو أندر وأنفع ؛ ويطغى الأدباء الهازلون على أصحاب الجد والأمانة ، فلا تتساوى الرغبة فى الأدب النفيس والرغبة فى الأدب الخسيس

وفى البلاد الفاشية يتحكم المستبدون فى أذواق الكتاب والشعراء فلا يذعن لعسفهم واستبدادهم إلا طائفة من المرتزقة المتزلفين الذين لا يقدرون على الأدب القيم ؛ ولو أبيح لهم أن يطرقوه ويتوسعوا فيه ، فهم أحرى أن يعجزوا عنه وهم مكبوحون مسوقون بالرهبة والاغراء

وفى البلاد الاشتراكية يعتقد الحكام أن الآداب هى لسان حال الطبقات ، وأن الأدب الذى يليق بهم هو أدب الطبقة السفلى ومن إليها من أشباه العامة والمسخرين . وحسبك من أدب يقوم على أذواق هؤلاء ، ويجرى مع هذه الأهواء

ولا ننس عصر الآلات وما يجرف به الناس من سرعة جائحة ونزوة جامحة . ولا ننس « الحرية الشخصية » وما سولته للصغار والأوشاب من غرور المساواة وتمرد المباهاة ، فقد

بدأت باعتبار الرجل نفسه ندا للسراة والوجهاء ولو كان فى الصعاليك والفقراء، وانتهت باعتبار الرجل نفسه ندا للعلماء والأذكياء ولو كان من الجهلاء والأغبياء، فضعف الخجل من التقصير، وضعف الطموح إلى مساواة الأعلين. وأصبح العيى الفه لايدارى عيه ولا فهاهته لأنه صاحب «حق» فى العى والفهاهة، وصاحب دعوة فى المساواة لايعدم لها أنصارا بالألوف والملايين!

تلك النوازع فى بلاد العالم كله على اختلاف النظم الاجتماعية والمذاهب الحكومية خليقة أن تنصر أدب الفاقة والعجلة، وتنحى على أدب اليسار والوقار. ولكننا نرجع إلى العصور الغابرة فلا يصادفنا عصر منها إلا كانت فيه نوازع كهذه النوازع فى نصرة الأدب المبذول وخذلان الأدب الكريم العزيز. وقريباً من عصرنا هذا كان تمليق الأغنياء والخضوع للجامدين والولع بمحاكاة الأقدمين وضعف الثقة والعجز عن حرية التفكير والابداع نوازع أخرى لا تقل فى أثرها الوخيم عما أحصيناه من مساوىء عصرنا، فلا نفاد فى عصور الزمن لبواعث الضعف ولا نفاد فيها لبواعث القوة؛ وشأن العقول فى ذلك شأن الأبدان بين دواعى السقم ودواعى الصحة، لا ينفرد عصر بالأمراض كلها ولا ينفرد عصر بالعافية كلها، ولا يزال الحال فى تعادل ونقص وتعويض مادامت الحياة حية تعطى وتأخذ من دنياها بمقدار

على أننا لانخادع أنفسنا ولا نستر الفوارق التى بيننا وبين غيرنا. فى انجلترا مثلا يكتب الهازلون ويكتب إلى جانبهم برتراند رسل وهو يتهد فى أعوص الموضوعات؛ وفى فرنسا يكتب الهازلون ويكتب إلى جانبهم رومان رولان وبرجسون فى المثل العليا وما وراء الطبيعة؛ وفى ألمانيا يكتب الهازلون ويكتب إلى جانبهم هوسرل وهيدجر فى معارض لايعنى بها فيما أحسب عشرة من قرائنا المصريين؛ وفى إيطاليا يكتب الهازلون ويكتب إلى جانبهم فريرو وجنتيلى وجروشى فى معضلات الاجتماع والتاريخ. وإنما مثلت بالفلسفة وحدها لأن موضوعاتها أعسر، وقراءها أندر، وعقول الباحثين فيها أكبر وأقدر؛ وهى بعد عنوان لما وراءها من أدب الجد والأمانة والرصانة والترفع عن القشور

أما فى مصر فأدب الجد والأمانة والرصانة والترفع عن القشور إنما يقوم على كواهل أصحابه ولا يقوم على كواهل القراء؛ وكل ماتملك من عزاء أن الجد والهزل فى هذا الباب يتساويان، فليس بيننا كاتب هازل يعيش بهزله، وليس بيننا كاتب جاد يعيش بجده؛ وسبيل العزاء فى هذا أن الهزل والجد يعيشان على نمط واحد، فلا يجور الهزل حتى يطمس معالم الجد، وإن شاء أن يجور

كذلك يتعاقب أدباء الكهول وأدباء الشباب فى أوربا، ولهم فى التعاقب معنى يتمثل فى تعاقب الأدوار وتلاحق الأفكار، وتباين المدارس الذهنية على حسب الأحوال والأطوار

أما عندنا فحين ظهر بيننا من ينعتون أنفسهم بمدرسة الشباب لم يكن معهم شىء جديد ولا دليل على الحداثة غير شهادة الميلاد، وراحوا فى دعوتهم يميعون تميع الذى يربت على عطفيه ويتحبب إلى نفسه ويفرط فى تدليل سنه كأنه يتقدم فى سوق الرقيق لا فى ميدان الفكر وحلبة الصراع

بيد أننا قد جربنا الاختلاف بيننا وبين أوربا الحديثة فى خصال كثيرة صلح بعضها ولا تزال لها بقية على سنن الإصلاح؛ فلنجرب ماييننا وبينها من اختلاف فى هذه الخصلة خمساً وعشرين سنة أخرى، ولا ننتظر نهايتها حتى نتفاءل ماوسعنا التفاؤل على أبواب المجهول، وحسبنا منه فيما نحن فيه أن يتساوى الأمران فلا موجب للأمل ولا موجب للقنوط، وكل ما كان بالأمس فهو وشيك فى غد أن يكون

أيذكر الأستاذ الزيات ما كانوا يعيبونه قبل خمس وعشرين سنة على كتاب الجيل الناشىء وشعرائه وناقديه؟؟ كانوا يجمعون العيوب كلها فى كلمة واحدة يسمونها «التفرنج» ويعنون بها الخروج على قواعد العربية. وكان يخيل إلى سامعيهم أنهم على صواب لاريب فيه؛ فهل نرى اليوم مصداق ذلك فى لغة الفريقين من الموسومين بالاعراب والموسومين بالتفرنج فى ذلك الحين؟ أقرب الظن أن هؤلاء «المتفرنجين» من كهول اليوم أوفى للعربية من أولئك المستعربين المتشددين، فإن لم يكن ذلك شفيعاً للأمل فى غد، فلعله أن يكون معيناً على الانتظار!

عباس محمود العقاد

في التاريخ السياسي

المسألة الفلسطينية
والآراء المعروضة لحلها

بقلم باحث دبلوماسي كبير

تجتاز المسألة الفلسطينية الآن دوراً دقيقاً حاسماً؛ فهي الآن قيد البحث والدرس من جانب السياسة البريطانية، والسياسة البريطانية تحاول هذه المرة أن تضع لحلها تسوية دائمة يقبلها العرب واليهود معاً؛ ومنذ أن احتلت بريطانيا العظمى فلسطين، وصدر عهد بلفور لليهودية بجعلها وطناً قومياً لليهود، أعني منذ عشرين عاماً، لم توفق السياسة البريطانية إلى تحقيق السكينة والسلام في فلسطين؛ ذلك لأن النظام الغريب الذي ابتدعته السياسة الاستعمارية لهذه البلاد العربية لم يكن طبيعياً يرجى له البقاء، فهو فضلا عن كونه يقضي بتمزيقها إلى شطرين هما فلسطين وشرق الأردن، فانه أيضاً يقضي بجعلها، وهي البلاد الاسلامية العربية، وطناً قومياً لليهود من جميع أنحاء العالم؛ وقد كان حلم اليهودية منذ أواخر القرن الماضي أن تستعمر فلسطين، وان تحقق باستعمارها أمنية العودة إلى أرض الميعاد وإحياء مملكة إسرائيل بعد أن دثرت منذ الفي عام؛ فلما أسفرت تطورات الحرب الكبرى عن قيام الحكومة البريطانية باصدار عهدها بتعضيد إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، فتحت فلسطين على مصراعيها لتلقي الهجرة اليهودية من سائر الأنحاء، ولم تمض أعوام قلائل حتى طغى هذا السيل الجارف على فلسطين، واستأثرت اليهودية بمعظم مرافقها الاقتصادية، وشهد العرب في فزع وروع بلادهم تتحول بسرعة إلى مستعمرة يهودية يكادون يصبحون فيها غرباء عن أوطانهم؛ ومع أن اليهود ما زالوا من الوجهة العددية أقلية (فهم اليوم نحو أربعمائة الف مقابل نحو ثمانمائة الف من العرب) فانهم من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هم ذوو النصيب الراجح في شئون فلسطين وفي مرافقها وثرواتها، تعضدهم السياسة الانكليزية وترجح رأيهم ومصالحهم.

هذا الوضع الشاذ لمصاير الأمة الفلسطينية لم يكن يرجى له البقاء، ولم ترتضه العرب منذ الساعة الأولى بل قاوموه بكل قواهم، وثارت فلسطين العربية غير مرة في وجه هذا الاعتداء الصارخ على حقوقها القومية والتاريخية، وأسمعت صوتها للسياسة البريطانية وللعالم كله، وكان العام الماضي مشهد فصل رائع من ذلك النضال الجلد المؤثر الذي تخوضه فلسطين للذود عن كيانها. وللمرة الثالثة أو الرابعة تحاول السياسة الانكليزية أن تبحث المسألة الفلسطينية على ضوء الحوادث والتطورات الواقعة. وقد حاولت من قبل أن تعالجها ببعض الحلول الجزئية، كإنشاء مجلس تشريعي، أو تقييد الهجرة اليهودية، أو الحد من بيع الأراضي الى اليهود؛ ولكن الأمة الفلسطينية لم تقبل هذه الحلول العرضية، وما زالت تتمسك بمطلبها الأسمى، وهو إلغاء عهد بلفور والغاء الانتداب البريطاني ومع أن السياسة البريطانية ما زالت تصر على خطتها في التمسك بالانتداب وعهد بلفور، فانها تشعر اليوم شعوراً قوياً بأنه يستحيل عليها من الوجهة العملية أن تمضي في هذه الخطة، وأن السلام لا يمكن أن يستتب في فلسطين ما لم يوضع حل نهائي شامل للمسألة الفلسطينية يرضي العرب واليهود معاً.

وهذه في الواقع هي النقطة الشائكة في الموضوع، ذلك أن كل حل تلحظ فيه أماني العرب القومية لابد أن يحد فيه من نشاط الصهيونية وأمانيها في فلسطين، وهذا ما لا ترضاه اليهودية، بل تقاومه بكل قواها؛ واليهودية قوة عالمية ذات شأن وذات نفوذ يذكر في عالم السياسة والمالية العليا، والسياسة الانكليزية لا يمكن أن تنسى هذه الحقيقة، فاذا أضفنا إلى ذلك أن بريطانيا العظمى قطعت لليهودية في شأن الوطن القومي عهوداً يصعب عليها أن تتراجع فيها، أدركنا مبلغ

ما يحيق بحل المسألة الفلسطينية ، من المصاعب الفادحة والاعتبارات الدقيقة .

ooo

وقد كانت آخر خطوة اتخذتها الحكومة الانكليزية فى سبيل المسألة الفلسطينية ، انتدابها فى العام الماضى على أثر الاضطرابات الدموية التى اضطرمت بها فلسطين مدى أشهر لجنة ملكية لتحقيق أسباب هذه الاضطرابات وسماع أقوال العرب واليهود وتعرف موقف كل فريق وأمانيه وأسباب تذمره ؛ وأن توصى بعد درس الحالة بخير الحلول التى تراها كفيلة بوضع الأمور فى نصابها وحل المسألة الفلسطينية حلا يوفق بين مختلف الأمانى والرغبات ويكفل استتباب النظام والامن فى فلسطين ؛ وقدمت هذه اللجنة إلى فلسطين فى أواخر العام الماضى وقامت بمهمتها ؛ وفى الأنباء الأخيرة أنها وضعت تقريرها المنشود ورفعته إلى الحكومة الانكليزية لدراسته واتخاذ قرارها بشأنه ؛ ولم يعرف رأى اللجنة بعد فى حل المسألة الفلسطينية بصورة قاطعة ، ولكن الصحف البريطانية أذاعت أخيراً أنباء يستفاد منها أن اللجنة ترى أن تقسم فلسطين إلى منطقتين إحداهما عربية والأخرى يهودية ، وأن يختص العرب بالمنطقة الشرقية ولها منفذان إلى البحر عن طريق يافا وحيفا ؛ وأن يختص اليهود بالمنطقة الغربية ويعطى لها نظام الدومينون ، وأن تجعل مدينة القدس وبيت لحم منطقة دولية مستقلة تحت إشراف عصبة الأمم ، وأن تجعل حيفا قاعدة بحرية بريطانية ؛ ويلاحظ أولا أن هذه الفكرة فى تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب إلى مناطق اتحادية ، وجعل مدينة القدس مركزا دينياً حرا على مثل « مدينة الفاتيكان » فى رومه ، ليست جديدة ولم تنفرد بابدائها اللجنة الملكية البريطانية ، بل هى فكرة ظهرت منذ أعوام وقال بها بعض زعماء الصهيونية ورجال السياسة ، على اختلاف فى بعض التفاصيل ؛ ولكن هل يعتبر هذا الحل علاجا ناجعاً للمسألة الفلسطينية ؟ وهل يرتضيه طرفا النزاع ؟ وهل يحقق السلام المنشود ؟ هذا ما يشك فيه الشك أولا ، لأن العرب لا يرتضون حلا لقضيتهم يقوم على تمزيق بلادهم واقتطاع نصفها لليهودية بصفة نهائية وحصرهم فى منطقة ضيقة هى أقل المنطقتين من حيث المزايا الاقليمية والاقتصادية ؛ وثانياً لأن اليهودية تأبى أن تحد اطماعها فى فلسطين على هذا النحو ، ولا ترضى بأقل من فلسطين كلها ميداناً لنشاطها الاستعمارى ؛ بل لقد حاولت اليهودية فى الأعوام الأخيرة أن تدفع نشاطها إلى شرق الأردن ، وهى المنطقة التى حرمها صك الانتداب على الوطن القومى اليهودى فكيف بها ترضى اليوم أن تحصر فى المنطقة الساحلية ؟ وكيف ترضى اليهودية أن تنزع من نفوذها مدينة القدس ، إيليا أو أورشليم عاصمة داود وسليمان ، ومثوى ذكرياتهم التى يبكونها منذ ألفى عام ؟ الواقع أن فكرة التقسيم ؛ إذا صح أنها هى العلاج الذى تراه اللجنة الملكية ، حلا للقضية الفلسطينية ، تصطدم بأكبر العقبات ، ولا يلوح أنها تلقى حظاً كبيراً من القبول أو النجاح

ooo

هذا وقد تقدمت فى تلك الأثناء بعض المقامات المصرية العليا التى تعنى بالشئون العربية والاسلامية باقتراح جديد لحل المسألة الفلسطينية خلاصته أن تضم فلسطين إلى سوريا وأن تؤلف منهما مملكة عربية إسلامية متحدة يتبوأ عرشها أمير من أمراء العرب البارزين وتعقد هذه المملكة مع بريطانيا العظمى وفرنسا معاهدة صداقة وتحالف على مثل المعاهدة المصرية الانكليزية . وإدماج فلسطين فى تلك المملكة العربية الجديدة يعاون على حل مسألة الوطن القومى اليهودى بصورة عملية ؛ ذلك أن اليهود يصبحون فى المملكة الجديدة أقلية دينية ، ويكون مثلهم مثل الأقليات الدينية بمصر ، تكفل لهم قوانين البلاد الأساسية المساواة مع باقى السكان فى الحقوق والواجبات

وأذاعت الأنباء أيضاً أن الأمير عبد الله أمير شرق الأردن يرى لحل القضية الفلسطينية رأياً مماثلا بيد أنه يرى أن تكون المملكة العربية المشار اليها مكونة من فلسطين وسوريا ؛ والعراق

ويقال إن هذا الاقتراح بإنشاء مملكة عربية متحدة تكون فلسطين إحدى أجزائها هو الآن موضع اهتمام الدوائر السياسية البريطانية . بيد أنه يلوح لنا أن هذا الحل يثير صعابا عملية جمة . ومن المحقق أولا أن الأمة الفلسطينية يسرها أن تنضم إلى شقيقتها الكبرى سوريا ، وأن يستأنف القطران بذلك وحدتهما التاريخية . ولكن هذا الضم لا يتوقف على رأى السياسة البريطانية وحدها ، بل يتوقف أيضاً على رأى السياسة الفرنسية التي تسيطر حتى اليوم على مصاير سوريا ؛ ومن المشكوك فيه جداً أن توافق عليه بريطانيا العظمى لأسباب عسكرية واقتصادية خطيرة ؛ ومن جهة أخرى فان سوريا الجمهورية لا ترتضى الانضواء تحت لواء الملوكية المقترحة ولبنان تتمسك باستقلالها وانفصالها ؛ وأما اليهودية فإنها قد لا تأبى مثل هذا الحل ، بل ربما رحبت به لأنه يفتح أمامها آفاقاً جديدة للعمل ، وإذا كان وجود الوطن القومى اليهودى فى فلسطين خطراً اقتصادياً واجتماعياً على الأمم الاسلامية المتاخمة له ، فإن هذا الخطر يغدو أشد وأعظم إذا اتسع نطاق العمل أمام اليهودية واستطاعت أن تخلق لها مراكز جديدة للنشاط والعمل فى القطر السورى أيضاً ؛ هذا ومن الخطأ أن نقدر قوة اليهودية بأقليتها العددية ، فإن هذه الأقلية تستند إلى قوى عظيمة فى الخارج تغذيها بتعضيدها المادى والمعنوى ؛ واليهودية العالمية قوة لا يستهان بها

والخلاصة أن المسألة الفلسطينية لا تزال فى دور ؛ وليس فى الحلول المعروضة ما يؤدى إلى تسويتها بصورة دائمة مرضية ، غير أنه لما كانت الحكومة البريطانية قد اقتنعت بعد حوادث العام الماضى بأنه لا بد من عمل شيء جديد يكفل استتباب النظام والأمن فى فلسطين ، فهى بلا ريب ستحاول القيام بتجربة جديدة ؛ واستتباب السلام فى فلسطين يهم السياسة البريطانية فى الظروف الحالية بنوع خاص ، لأنها أضحت ترى فى فلسطين مركزاً جديداً للدفاع الامبراطورى يمكن الاعتماد عليه ؛ وتقرير اللجنة الملكية الآن قيد البحث والدرس .

وسنرى عند إذاعته على أى الأسس ترى اللجنة أن تقسم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية ، والأخرى يهودية ، وسنرى أيضا إذا كانت الحكومة البريطانية تميل إلى تطبيق هذه التجربة الجديدة فى فلسطين . على أنه مما لا شك فيه أن اليهودية تعمل اليوم كما عملت دائماً على تدعيم مطالبها وأمانيها مهما كانت السياسة الجديدة التى تنتهجها السياسة البريطانية ؛ وسيجتمع عما قريب فى مدينة تسيريخ (زيوريخ) بسويسرا مؤتمر صهيونى عالمى جديد ، يعيد إلينا ذكرى مؤتمرات بال الشهيرة التى وضعت فيها أسس السياسة الصهيونية الحاضرة ؛ ونحن على يقين من أن العرب لن يقصروا فى الدفاع عن قضيتهم التى برهنوا دائماً على أنهم أهل للدفاع عنها ؛ بيد أن الظرف الحاضر يقتضى بلا ريب مضاعفة الجهود ؛ فعلى العرب أن ينظموا صفوفهم ليستأنفوا نضالهم السلمى المشروع ، مزودين بقوة العدالة والحق والايمان

(***)

فصول فى التصوف الاسلامى وفتوحات ابن العربى

التصوف والصوفية فى الاسلام

للأستاذ خليل هنداوى

وإن كانت « الايبقورية » ذهبت مذهبا متطرفا في المادة فان الصوفية أيضا قد نحت نفس هذا المذهب فى شططها وغلوها فى الروح والنفس وجوهر الله .

يقول الاستاذ « فريد وجدى » فى دائرة المعارف : إن التصوف هو مذهب كان الغرض منه تصفية القلب عن غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس باخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه . وهذا قديم كقدم النزعة التى أوجدته ، فان الانسان منذ ألوف من السنين أدرك أن خلف هذه الغلف الجسدانية سراً مكنوناً ، فنشأ هذا المذهب فى كل أمة راقية ، ولبس شكلامناسباً لعقولها وأفكارها ، وهو معروف فى الهند والصين منذ ألوف من السنين ، وله عند الهنديين أساليب شديدة على النفس ، ولكنه لما وجد تحت ظل الاسلام وأحيط بأدب القرآن دخل فى دور جديد » . وقد اختلف العلماء والمتصوفون أنفسهم فى حقيقة تاريخ مذهب التصوف وإلى أين يذهب عهده . على أن عهده يرجع إلى قديم الزمن وإن لم يكن معروفا قبل بهذا الاسم . وقد اختلق العرب اشتقاقا لهذه الكلمة واختلفوا فى وضعها ، فمنهم من ذهب مذهب القائل : « ان أول من انفرد فى الاسلام بخدمة الله عند المسجد الحرام رجل يقال له « صوفة » واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه فى الانقطاع إلى الله ، فسموا بالصوفية » وقال الزبير : قال أبو عبيدة : « وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشىء من أمر المناسك » . وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصُّفة فى الانقطاع إلى الله وملازمة الفقر ، وهم المعروفون فى الاسلام بأهل الصفة . والتصوف عندهم يقصد به رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الفضيلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص . ومنهم من نسب الصوفية إلى لباس الصوف . فقيل فى أحدهم صوفى ، وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ، ولاهم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال .

ويقول الشيخ الشعرانى فى كتابه الطبقات : « إن طريق الصوفية مقيدة بالكتاب والسنة ، وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وإنها لاتكون مذمومة إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الاجماع لا غير ، أما اذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فليعمل به ومن شاء تركه . والتصوف هو عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل والكتاب والسنة . فكل من عمل بها انقدح له من ذلك علوم وأدب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها . فالتصوف انما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس كما أن علم المعانى والبيان زبدة علم النحو . ولا يدرك أن علم التصوف تفرع من عين الشريعة إلا من تبحر فى علم الشريعة حتى بلغ إلى النهاية . وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هى وصلتهم إلى الله عز وجل فى كل لحظة ؟ وقد اجتمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر فى طريق الله إلا من تبحر فى علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها ، وتبحر فى لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك ، فكل صوفى فقيه ولا عكس .

وقد ورد فصل يحسن ذكره فى هذا الموضع للدلالة على الروح الصوفية التى كانت تسود عقول أصحابها من كتاب « اللمع فى التصوف (١) » قال الشيخ ابو نصر : سألنى سائل عن علم التصوف ومذاهب الصوفية وزعم أن الناس اختلفوا فى ذلك فنهم من يغلو فى تفضيله ورفعه فوق مرتبته ، ومنهم من

---

(١) طبع فى مطبعة « بريل » فى مدينة « ليدن » سنة ١٩١٤ لصاحبه أبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسي سنة ٦٤٠ وقد اعتنى بنسخه وتصحيحه « نيكلسون »

يخرجه عن حد المعقول والتحصيل ، ومنهم من يرى أن ذلك ضرب من اللهو واللعب وقلة المبالاة بالجهل ، ومنهم من ينسب ذلك إلى التقوى والتقشف ، وليس التصوف فى تنوق الكلام واللباس وغير ذلك ، ومنهم من يسرف فى الطعن وقبح المقال فيهم حتى ينسبهم الى الزندقة والضلالة ، وليس من مذهبهم النزول على الرخص وطلب التأويلات والميل إلى الترفه والسّعات ، وركوب الشهوات لأن ذلك تهاون بالدين ، وانما مذهبهم التمسك بالأولى والآتم فى أمر الدين . والصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ولم يترسموا برسم من الاحوال المحمودة والاخلاق الشريفة .

ما هو التصوف؟ سال سائل محمد بن على القصاب وهو أستاذ الجنيد الصوفى الشهير . فقال : أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام . وقال الجنيد : التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة . وفى الحقيقة أن هذه الكلمة هى التى يتخذها الصوفيون أساساً لتصوفهم فى المشرق كان أم فى المغرب . ويدخل موضوع التصوف المبنى على هذه القاعدة فى عداد المذاهب الفلسفية . فالانسان إذا أراد أن يكون مع الله بلا علاقة فهو محتاج ولا ريب إلى معرفة الله وتحديد علاقاته مع الانسان وعلاقات الانسان معه . ولا ريب أن هذه الموضوعات هى سبيل مظلمة من سبل الفلسفة التى يستضىء الفيلسوف عقله لانارتها ، والصوفى يعتمد توكله وإيمانه .

وكلمة التصوف جاءت إلى العربية من اليونانية « صوفيا Sofia » وهى تعنى إغلاق الفم والصمت . وليس ببعيد هذا ، لأن التصوف جاء إلى العرب ونشأ بينهم بعد هجرتهم من الجزيرة ، وتعرفهم إلى مدنيات الأمم المجاورة لهم كالفرس واليونان وكانت فكرة التصوف عند هؤلاء شائعة

والأرجح أن يكون التصوف مذهباً مستقلا له شأنه . ينظر صاحب هذا المذهب إلى الكون نظر أصحاب المذاهب الأخرى له . وكما أن المتشرع الحكيم يضع من عنده القوانين للكون ويحدد كل شىء بالنسبة اليه بنظام ، وكما أن الفيلسوف قد يجحد كل ما يصنعه غيره ويناقش الطبيعة بلغته الفلسفية ومنطقه الخاص ، فالصوفى كذلك له من مذهبه ما يجعله مستقلا تمام الاستقلال عن المذاهب الأخرى : ينظر إلى الكون بعينه المجسدة ، ويتفهم الفضائل حسبما يوحى اليه مذهبه . ولا بأس بأن نقول كما قال « فيكتور كوزان » : إن التصوف هو مذهب من المذاهب الفلسفية ؛ وإنما يستعين على الظهور بالدين ؛ وهو إن لم يكن غنياً بمنطقه وقواعده وارتقائه على العقل فهو يتضمن قالب المذهب الفلسفى ولايحدد إلا نقطة نظر بقضيقة المجال . وقد غلب هذا المذهب على المذاهب الطبيعية ، وعم فى سائر الديانات التى ارتكزت على الكتب السماوية والتعاليم البشرية .

على أن هذا لم يمنع قول القائلين : إن الصوفية ليست مذهباً يعتنقه المرء ، يأخذ بعقائده وتقاليده ، فانها أدنى إلى الطبائع فى بعض النفوس منها إلى قواعد مذهب مقرر . وأنت ترى كثيرين من الناس يعيشون عيشة الصوفية فى زهدهم وقناعتهم وماهم بالصوفيين .

حكم العلماء على الصوفية

نشأ المذهب الصوفى شأن كل مذهب يكون الاخلاص رائده ، ثم يتسرب اليه التحيل والهدى ، ولم يعرف التاريخ مذهباً داجى فيه أصحابه مثلما عرف من التصوف . فقد دخل فيه المخلص والزنديق والنشيط والبليد . فالتصوف أسه الزهد والتظاهر بالفقر وكراهية الدنيا . وكم من أناس حبب لهم العيش الرخاء والتوانى فى السعى ، فأووا إلى هذه المذاهب التى تعلى من قيمتهم وتظاهروا بالتصوف . وقديماً كان الناس يتسابقون إلى إيواء الصوفى وإطعامه ، والمبالغة فى إكرامه . وهكذا كانوا ينتقلون فى عيشهم من بادرة إلى بادرة معتمدين على الظاهرة الصوفية ، وليس فى قلوبهم إلا الغل والنفاق . ولابن تيمية فتوى جليلة فى الصوفية وحال أقسامهم ، فقد قال بعد أن شرح موضع الصوفية من العلماء : « والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم ، ففيهم السابق السابق بحسب اجتهاده ، وفيهم من قد يجتهد فيخطىء ، وفيهم من

يذنب فيتوب أو لا يتوب . وقد انتسبت إليهم طائفة من صوفية الحقائق الذين اعتنقوا مذهب الصوفية باخلاص قلب ، ووفاء سريرة ، وصوفية الأرزاق ، وصوفية الرسم ممن لا يغنون فتيلا . والصوفية كانوا ولم يزالوا من جملة الزهاد ، ولكنهم انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال . واتسموا بسمات خاصة بهم . والتصوف طريقة بدؤها الزهد الكلى كما قدمنا فى كل متاع الدنيا ؛ ثم ترخص المنتسبون اليها ـ لما حرموا من ملذة الدنيا فجعل البعض ذلك لهم حيلة ـ بالسماع والرقص ، فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ، ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب .

ويبدو ان هذا الضرب من التحيل لم يبخس حق قيمة المتصوفين الحقيقيين . وقد قال القشيرى فى رسالة : « لم يكن عصر فى مدة الاسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتباركوا به . فقد أذعن الامام الشافعى لشيبان الراعى حين طلب الامام أحمد بن حنبل أن يسأله عمن نسى صلاة لا يدرى أى صلاة هى ؟ وإذعان أحمد لشيبان كذلك حين قال لشيبان « هذا رجل غفل عن الله فجزاؤه أن يؤدب » . وكذلك إذعان الامام أحمد لأبى حمزة البغدادى واعتقاده فيه حين كان يرسل اليه دقائق المسائل ويقول : ما تقول فى هذا يا صوفى ؟ وكان يروى أن الامام أحمد كان يحث ابنه على الاجتماع بصوفية زمانه ، ويقول إنهم بلغوا فى الاخلاص مقاماً لم يبلغه

وقد أوى كثير منهم إلى ضروب من الكرامات زعموا أنها خاصة لا تصدر إلا عنهم ، يريدون من وراء ذلك أن الله يسخر قوات الطبيعة والأشياء لهم ، ولكن هذا النوع من هذه الكرامات لم يرق معشر العلماء فاختلفوا فى أحكامها . والناس فى إنكارها أقسام ، منهم من ينكرها مطلقاً ، ومنهم من يقول ان هذه الكرامات تشبه السحر من أهل السيميا ، وينصح للانسان بعدم صدهم وعدم تصديقه لهم . وقد أفتوا بتكفيرهم كما أفتوا بتكفير الغزالى وحرق كتابه الاحياء . ولكن البعض من أئمة هذا المذهب لم يجعلوا هذه الكرامات قواعد راسخة للصوفية لا يكون صادقاً إلا من يؤتاها ويأتى بها

وقد قال أبو يزيد البسطامى ـ واضع الله وراء جبته : « لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود . ومن ترك التقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وتلاوة القرآن وادعى بهذا الشان فهو مبتدع ، وفى هذا دلالة واضحة على أن من يدخل فى هذا المذهب ويعتنق مبادئه ثم يطرح عنه قواعد الشريعة المشيد عليها هو مبتدع مختلق ، يحترف الصوفية فراراً من كلفات الدين ومشقات العيش

وخلاصة الأمر أن التصوف تقلب كثيراً وتحرر كثيراً وطرأ عليه ما يطرأ على سائر المذاهب عادة ، ولكن التصوف الحقيقى ظل محترما فى عيون الناس وقلوب الناس . وليس بوسعنا اخراج الحكم عليها من باب أحكام العلماء لاختلاف فتاواهم فيها وإنما علينا أن نستعرض مبادئها وقواعدها ونرى ما يلائم منهاجه منها سنة الحياة وما يباين ، وهنالك القول الفصل

خليل هنداوى

من الأدب التحليلي

أنا ... والنجوم !

للأستاذ على الطنطاوى

ما من كلمة هى أثقل على أذن السامع وأبغض اليه ، من كلمة (أنا) ، وما حديث أكره إلى الناس من حديث المرء عن نفسه ... بيد أنى متحدث الليلة عن نفسى ، وقائل (أنا) ، وجاعلها عنوان مقالتى ، لأنى منفرد بنفسى ، لا أجد معى من أتحدث عنه إلا (أنا) .

أنا حين أتحدث عن نفسى أتحدث عن كل نفس ، وحين أصف شعور واحد وعواطفه ، أصف شعور الناس كلهم وعواطفهم ، كصاحب التشريح لا يشق الصدور جميعاً ليعرف مكان القلب وصفته ، ولكنه يشق الصدر والصدرين ثم يقعد القاعدة ، ويؤصل الأصل ، فلا يشذ عنه إنسان ... سنة الله فى الخلق ، وقانونه المحكم ، ونظامه العجيب الذى جعل الناس مختلفين وهم متشابهون - ومتشابهين وهم مختلفون ، برأهم على الوحدة فى الحقيقة ، والتنوع فى الجمال ، نخلق العيون كلها خلقاً واحداً ، كل عين ككل عين ، فى تركيبها ووضعها ، وصفتها ، وما عين مثل عين فى شكلها ومعناها وجمالها . تلك حكمة الحكيم الخبير ، وهذه صنعة المبدع القدير !

***

أنا منفرد على سطح دار فى (الزبير) (١) فى هذه الليلة الساكنة المتلألئة النجوم ، وأمامى الصحراء التى تمتد إلى عمان واليمن ونجد والحجاز ، وورائى السواد الذى يصل إلى أرض فارس ، وهى قريبة ، حتى انى لأرى لهيب النفط المشتعل فى (عبادان) وأنا فى مكانى ... أتأمل هذه الصحراء المجيدة المباركة ، التى كتب على رمالها أروع سطور المجد ، وأجل صحائف التاريخ ، ونبت فى رمالها دوح الحضارة الذى أوت اليه الانسانية ، وتفيأت ظلاله يوم لا ظل فى الأرض إلا ظله ؛ وأفكر فيطول بى التفكير ، ويطل بى الفكر على آفاق واسعة ودنياوات عظيمة ، وتنبلج فى نفسى أصباح منيرة ، فأجد فى رأسى مئات من الأفكار الجديدة الكبيرة ، وفى نفسى مئات من الصور الرائعة المبتكرة ، ولكنى لا أكاد أمسك واحدة منها لأقيدها بالألفاظ ، وأغلها بالكلم ، حتى تفلت منى وتعدو فى طريقها منحدرة إلى أغوار عقلى الباطن ، فلا أنا استمتعت بها استمتاع الناس بأفكارهم ، ولا أنا سجلتها فى مقالة وصنعت منها تحفة أدبية ، ولو أنى قدرت أن أكتب معشار ما أتصور لكنت شيئاً عظيما ، ولكنى لا أقدر ... ولا أصب فى مقالاتى إلا حثالة أفكارى ؛ تنبت الأفكار فى نفسى وتزهر وتثمر ، ثم تذوى وتجف فآخذ الهشيم فأضعه فى مقالتى !

ويتفجر الينبوع فى نفسى ، ويتدفق ويسيل ، ثم ينضب وينقطع ، فآخذ الوحل فأضعه فى مقالتى !

وينبثق الفجر فى نفسى ، ويقوى ويشتد ، ويكون الضحى والزوال ، ثم يعود الليل ، فآخذ قبضة من ظلام الليل ، لأكتب منها مقالة ، عنوانها ... « ضياء الفجر » !

من أجل ذلك أكره أن أنظر فى كل ما نظرت ، وأستحي أن أعود اليه ، وأحب كل جديد لم ينشر ، وأرى أن الذى يمدحنى بمقالاتى يحقرنى لأنه لا يعلم أنها درهم من خزائن نفسى المفعمة بالذهب ، فهو يقول لى : إن الدرهم كبير منك لأنك فقير ، ولكن الذى ينقد مقالاتى وينتقصها يقول لى : إنك غنى فالدرهم قليل منك ، إن هذه المقالة حقيرة لأنك أنت عظيم ...

لقد تعلمت هذه المسألة من عهد قريب ، فصرت أحب النقد ، وكنت أجهلها من قبل فاميل إلى الثناء والتقريظ

لبثت أعرض هذه المواكب من الأفكار ، حتى تعبت ومللت ، فألقيتها كلها فى الصحراء ، وجلست أفكر فى الصحراء وحدها ...

---

(١) الزبير : بلدة صغيرة ، على سيف البادية ، غربي البصرة ، تبعد عنها سبعة أميال . فيها قبر بطل الاسلام الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة . وعلى مقدمة منها أطلال عليها نقوش ظاهرة المشهور هنا أنها أطلال مسجد البصرة الجامع وأهلها يبلغون اثنى عشر ألفا ، كلهم مسلمون سنيون يميلون إلى السلفية ، ويحبون العلم . فيها مساجد كثيرة كلها يقام فيه الجمعة ومدرسة أميرية راقية ، ومدرسة أهلية إسلامية أسسها الشيخ الشنقيطى رحمة الله عليه ، والراجح أنها هى البصرة القديمة والله أعلم فليس هذا من بعلم .

نظرت اليها وهى متمددة على سرير الجزيرة الواسعة ـ نائمة ـ فامتلأت اكباراً لها واعظاما ، ثم فكرت أن لو فتحت الصحراء عينها ـ أكانت تبصرنى ـ وتحس بوجودى؟ أأشعر أنا بوجود رملة حملتها الريح فطارت بها ، فمست وجهى وهى طائرة ، ثم مضت فى سبيلها ؟ ما أنا فى وجود الصحراء إلا رملة ، وما حياتى إلا لحظة من حياتها ، ولو تثاءبت الصحراء ، أو حكت أنفها لتصرم قرن كامل قبل أن تنتهى من تثاؤبها وحكها أنفها ... فما أعظم الصحراء وما أطول عمرها ...

ــ بل ما أقل الصحراء . وما أقصر عمرها !

ما الصحراء ؟ بل ما الأرض كلها ؟ وما هذا المليار من القرون الذى عاشته ؟ انه يوم من حياتى ، انها نقطة من بحرى ... انى نمت يوما فلما أفقت وجدت نقطة صغيرة هناك ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : مخلوق صغير يدعى الشمس ... فعجبت من صغرها ، ثم لم أحفل بها ، فما أرضك هذا يا ... يا ... يا أيها العدم !

هذا ما قاله لى كوكب قريب ، كان ينظر إلىّ باسما ... فذكرت ما قاله علماء الفلك عن الكواكب وعظمتها ، فسكت ولم أنطق ... وإذا بكوكب آخر يطل من هناك يقهقه ضاحكا يصرخ فى وجه الأول : اسكت اسكت أيها النملة الحقيرة ، من أنت ؟ إن آلافا مثلك لا تملأ واديا واحداً من أوديتى ، انى أحمل مائة مثلك بين أصبعين من أصابعى ...

وكان وراءه كوكب خافت لا يقول شيئا ، لأنه لم يعلم بوجود هذا كله ـ لا يراه لبعده وصغره ، وكان وراءه ستمائة مليون من الكواكب كل واحد أكبر من الذى قبله ، وأصغرها من هذا الكوكب كالفيل من البعوضة ... فجلست أحدق فى هذه الكواكب ذاهلا مشدوهاً ، وانقطعت أفكارى عن الجريان وأحسست بضآلتى ، حتى لقد خلتنى عدماً ...

ثم صغرت هذه الكواكب فى نظرى لما رأيت شيئا أعظم منها ، صغرت لما رأيت السماء « سقفا مرفوعاً » ، حتى غدت كلها « مصابيح تزين السماء الدنيا » ، ورأيت السموات تطيف بها كلها . تحيط بهذا الفضاء « سبعاً طباقا » ، ورأيت الجنة من وراء ذلك « عرضها السموات والأرض » ، ورأيت العرش والكرسى . وملك الكائنات العظيمة ، فأحسست أن عقلى ينهدم ويتحطم حين يحاول التفكير فيها وهى مخلوقة ، فكيف به حين يحاول التفكير فى الخالق ؟

وذهبت أقابل بين هذه العظمة الهائلة التى لا يدنو من تصورها العقل ، وتلك الدقة الهائلة دقة الجراثيم التى يمر الألف منها من ثقب إبرة ، دقة الكهارب التى يكون منها فى الذرة الواحدة مئات من الكواكب الصغيرة ، يدور بعضها على بعض ، كما تدور كواكب المجموعة الشمسية ، ذهبت أقابل بين هذا وذاك فعجزت ، وأنكرت نفسى وجحدتها وامتلأت إيماناً بالخالق الأعظم ، فصحت من أعماق قلبى :

لا إله إلا الله !

* * *

أنكرت نفسى . ولم أعد أراها شيئا ... ونسيت يدى ورجلى ، حتى لقد حسبتهما جزءاً من الكرسى أو السرير الذى أجلس عليه ، وأضعت ميولى كلها وشهواتى ، حتى لم يبق لى (أنا) وإنما صرت (أنا) الكون كله ، الكون الذى ردد معى قولى ، لا إله إلا الله ! فأحسست حينما أنكرت نفسى . بلذة الوجدان التى لا توصف :

لا يعرف العشق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وبدأت أفهم ما كنت قرأته من أقوال أهل التصوف ، وتعلمت أن الانسان لا يحس بعظمة ، إلا إذا نسى نفسه وعظمته . هنالك يجد هذا « الجرم الصغير » الذى هو رملة فى الصحراء وعدم فى وجود الكوكب ، والذى لا يمتد عمره أكثر من لحظة فى عمر السماء ... يجده أكبر من الكواكب ، وأخلد من السموات ، لأنه عرف الله وأدرك حلاوة الايمان ...

وقمت بعد ذلك أصلى ، فلما قلت: الله أكبر ، محى الكون كله من وجودى ، ولم يبق إلا أنا العبد المؤمن الضعيف ، والله الإله العظيم الجبار !

ليس فى الدنيا شىء أجل ولا أجمل من الصلاة !

(البصرة) **على الطنطاوى**

على هامش رحلتى الى الحجاز :

فى تكية الدراويش

للدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ الشرقى بجامعة بودابست

عن كتاب نشره باللغة المجرية بعنوان « الله أكبر »

كان شعاع شمس الشتاء يسطع فى جو القاهرة ويتألق فى السماء اللازوردية ، ويريق ضوءه القرمزى على المآذن والقباب فتتوهج أطرافها فى الضوء الساطع كما يتوهج الذهب فى كف الرجل الكريم . أما أسطح بيوت القاهرة فكانت فرصة لها لتداعب هذه الأشعة ـ تلك المداعبة الصحية ـ والريح تعبث بالأوراق والغصون فى حدائق قصر النيل الغناء

وكنت فى خلال هذا الوقت وحيداً فى غرفتى ، شاعراً بأن السكون يطبق على كجناحين كبيرين ، ومنصرفاً إلى دراسة بعض كتب الأدب العربى القديم لأقارن بين عصر وعصر ، وبلغ بى التعب أشده من عكوفى على القراءة ومحاولة تفهم معانى الكتاب لأننى كنت أميل بفطرتى إلى تحليل أفكار المؤلف والوقوف على المعانى المستترة فى باطن الكلمات . ولاح لى أننى أشبه بغواص يجاهد فى بحر من الظلمات ليستخرج منه اللآلىء والأصداف . ما أمر العكوف على قراءة الكتب الخطية فى بلاد الشرق ؟ تغلق باب الغرفة دونك وتحاول أن تظل بمعزل عن العالم لتمثل فى خاطرك العصر الذى عاش فيه المؤلف والظروف التى كانت محيطة بها ، وانها لمعجزة أن يظل الكتاب مهملا سنوات برمتها ، فما تكاد تفتحه حتى تهب عليك النسمة القديمة بسحرها وعطرها وتسمع كلام المؤلف أو صوت الشاعر كأن لم يغيره تقلب الحوادث وانصرام الاجيال

وفيما كنت أقلب هذه الأفكار وأشباهها إذ طرق الباب ، وكان الطارق صديقى محمد أمين حسونه ، أتى لزيارتى ودعوتى إلى نزهة خلوية فى ضواحى القاهرة . وكانت الزيارة فى يوم الجمعة ـ وهو يوم عطلة عامة فى البلاد الاسلامية ـ ففى هذا اليوم المقدس تعطل المصالح والدواوين وتقفل الحوانيت ، ويتحتم على المسلمين أن يهرعوا إلى المساجد إذا سمعوا صوت الأذان . أما الآخرون الذين لا تربطهم بالتجارة صلة فهم يقضون ذلك اليوم فى اللهو والمتعة على ضفاف النيل الجميلة وفى داخل الحدائق الفيحاء المبعثرة فى جوانب القاهرة

وفى أثناء احتساء القهوة اقترح صديقى حسونه أن نقصد إلى حدائق الحيوانات للتريض أو تناول طعام الغداء فى ظلال الأهرام . ولكنى أجبته : وما رأيك فى زيارة إحدى تكايا البكتاش

هناك طفح وجه صديقى بشرا . وفى الحال وافقنى على القيام بهذه الزيارة . فقلت له : لقد زرنا الهرم عدة مرات وتحملنا بعض المشاق للوصول إليه بالترام . ثم تحدثنا عن بناء الأهرام وكيف حاول العرب أن يهدموا ذلك الأثر الخالد لاعتقادهم بأنه يحوى كنوزاً فى جوفه . ولكن على الرغم من المجهودات الشاقة التى بذلوها فانهم اضطروا إلى الانقطاع عن هدمه بعد أن أنهك قواهم وكلفهم نفقات باهظة ، وعند ما استولى المماليك على مصر كانوا يظنون أن الأهرام من عمل الطبيعة . وحاول البعض منهم أن يجرب أخذ الأحجار منها للبناء ولكنهم أكرهوا على التخلى عن هذه الفكرة لصعوبة تنفيذها وربما كان عدم قدرتهم على تنفيذها موافقة لارادة الله الذى قضت حكمته ببقاء هذا البناء المهيب الشامخ كرمز لعظمة مصر القديمة . وكثيراً ما قصدت إلى منطقة الأهرام وقضيت سويعات شاعرية أناجى القمر وأراقب أشعته اللجينية وهي تغمر الأحجار الضخمة التى يتألف منها البناء الشامخ

فى هذه البقعة الساحرة يجتمع الماضى والحاضر والمستقبل وتبدو عظمة مصر الخالدة التى بهرت العالم . ولكن مالنا نتغنى الآن بتلك الأكوام الحجرية المكدس بعضها فوق بعض . أجل ليس فى هذا ما يسر الخاطر ولا ما يشرح النفس ـ وما هى القيمة الروحية التى تمدنا بها رؤية الأهرام أمام زيارة تكية الدراويش ، تلك الطائفة التى ما زالت

تلهب فى نفوسنا أسمى معانى الخلود ومتاع الآخرة

***

وانطلقنا فى طريقنا إلى تكية البكتاشية بعد أن عبرنا شوارع القاهرة الرئيسية وانتهت بنا العربة إلى مقابر الخلفاء . هناك أفضى إلى صديق حسونه أنه حين كان طفلا وأسيئت معاملته أمام الأسرة ، لم يجد من يلجأ إليه سوى كلب أرمنى كان مقعيا على الدرج فى نفس هذه البقعة ، وكان يستدفىء بالشمس فاحتضنه ثم بكى . وبعد برهة وصلت إلى سمعه أصوات موسيقية متنافرة ، فإذا بها حفلة من حفلات الزار التى تعودت نساء القاهرة إحياءها . وكانت الحفلة تقام فى أحد المنازل المجاورة لتلك القبور ، فحمل صديق الكلب وانطلق إلى هناك حيث أتيح له أن يشاهد أكثر من عشرين سيدة وهن يرقصن على نغمات الموسيقى بجنون وحشى إلى حد أن كن يتصادمن ويتلاحمن ، وكان البعض منهن يمزقن الأثواب . أو يمتطين ظهور الخراف البيضاء المصبوغة بالدم . وأسر إلى صديق بانه أحس بالراحة ساعتئذ ولم يعز هذه الراحة إلى أية صفة مجهولة ، بل يبعد هؤلاء المريضات عن الانسانية ، وفى عزلتهن هذه ما يشفى عواطفهن الهسترية ويبرئهن من النضال الدنيوى الذى وقعن فيه

وبينما كنا نبحث ونتجادل فى البواعث الحقيقية لحفلات الزار ، ألفينا أنفسنا أمام أبنية التكية الملصقة بجبل المقطم ، وبعد أن ارتقينا الدرج واجتزنا حدائق التكية أحسست بنشوة وانتعاش ، كالنشوة التى تحدثها الريح فى يوم ساكن ، ولقد ازداد سرورنا عند ما اجتمعنا بطائفة من الزوار الأجانب الذين أتوا خصيصاً لشهود حفلات الذكر والموسيقى ، كذلك رأينا فريقاً من النساء وهن واقفات بخشوع وشاخصات بأبصارهن الى الأشجار الباسقة التى تكاد تشق أجواز الفضاء .

أما بيوت الدراويش ومساكنهم فتقع فى الجهة اليسرى من الحديقة ، وهى مساكن نظيفة غاية فى البساطة ولكنها فاخرة الرياش ، تزينها لوحات بها رسوم رؤساء الطائفة السابقين . وتعلو هذه الاطارات — بلطة — وهى رمز الدراويش . ويزور التكية عادة جم غفير من أعيان الأجانب وبعض أمراء الشرق ، ولقد شاهدت الكثير من رسومهم الفوتوغرافية وتوقيعاتهم لدى شيخ التكية . ويقع بالجهة اليمنى من الفناء الداخلى مطبخ ضخم البناء ، وما كدنا نصل إليه حتى شممت رائحة الشواء ورائحة الطهى الزكية ، وسال اللعاب فى فمى وتحركت شهيتى فتقدمت نحو المطبخ ورأيت الطاهى يشوى شرائح اللحم الضأن . وعزم علينا الطاهى بأن نتذوق طعامه ، فلم أجد مانعاً من إجابة طلبه وأخذت ألتهم قطعة اللحم بشهية

تبلغ مساحة مطبخ البكتاشية نحو مائة متر مربع بحيث تسع إعداد طعام لأكثر من مائتى شخص تقريباً ، ولقد أخبرنى الطاهى أن للزمن تقلباته وانهم الآن يتوخون الاقتصاد فى مأكلهم مع انهم من سنوات خلت كانوا يتمتعون بأنواع المآكل الشهية ، وأنهم كانوا يولمون الولائم الفاخرة لأكثر من مائة ضيف بعد انتهاء حفلات الذكر ، أما الآن فقد تغيرت الأحوال لأن الهبات التى كانت تصلهم كادت تقطع . ومن الغرابة أن كل مافى التكية قديم أثرى ، فالدراويش قد بلغوا من العمر عتياً ، لا يعرف من أمرهم إلا نفر قليل من سكان القاهرة ، ولا يزورهم إلا خاصة الأصدقاء ، ولولا زيارة بعض الأجانب لأصبحت تلك الدور فى عالم النسيان . حتى صديقى المصرى حسونه الذى لازمنى فى هذه الزيارة لم ترق فى عينيه أحوال تلك الطائفة ولكنى على الضد منه ألفيت لذة عظيمة لزيارة هذه الطائفة التى تربطنى بها روابط روحية .

البقية فى العدد القادم

عبد الكريم جرمانوس

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

نخاسة الأزهار

ما اجتزت سوق الأزهار مرة إلا شعرت بحزن شديد، كأنى أتجول فى سوق النخاسة حيث تقوم المساومة على الأجساد وتلقى العبودية طابعها المروع على وجه الانسان

يتمشى الأغنياء بين الأزاهر فيحدجونها بأنظارهم متفحصين أشكالها وصحتها وأعمارها. فاذا ما تمت الصفقة خرجت الزهرة المبيعة من سوق النخاسة لتتبع خطوات سيدها.

سيرى وراء من اشتراك أيتها الزهرة التعسة . اذهبى اليه لتخدمى شهواته ، زينى قصره بجمالك فلسوف ينزلك ثمين الآنية ويحوطك بطالس الأعشاب. سيكون مسكنك فخما. أيتها الزهرة ، فودعى الشمس والهواء ، ودعى الحرية فالعبودية فاتحة ذراعيها لتضمك إلى صدرها .

يا لشقاء هذه الأزهار ! إنها تعرض أكواماً يلفحها الحر والقر فتذوى مهتوكة تحت نظرات الفاحشين من الناس

لقدم البائع فارفعى رأسك أيتها الزهرة، ليراك منتصبة تملأك الفتوة نضارة ، فأنت لنضارتك معروضة على المشترين

إن أكثر الأزهار المعروضة فى سوق النخاسة تحنى رأسها وقد ارتخت قوائمها فتلاعبت فيها أضعف النسمات . لقد رسمت الأسفار البعيدة عليها آثار الضنى ، و كتب الشقاء على تويجها آيات المذلة والاستعباد . وما تهتم هذه الزهرات بجمالها ، وهى تعلم ما تحتم عليها من الخضوع لسيد مجهول يتحكم فيها .

لقد تسعد إحداها إذا اشترتها فتاة لتزين بها نافذتها فتجد الماء وتجد الهواء لتحيا وتطل عليها من وراء الأشجار أشعة الكوكب الذهبى يناجى فيها ابنته فى كل صباح .

هنالك تسمع الزهرة تغريد أخيها الطير يمازجه نشيد الغادة بصوتها الحنون .

ما أسعد الزهرة التى تمر بها فتاة معلقة بذراع أمها فتحملها إلى غرفتها الطاهرة تجود بعطرها فى الليل ممتزجاً بأحلام العذراء.

أما أنت أيتها الأزهار التى ينثرك الأغنياء فى قصورهم فى ليلة عيد ، فما أشد ويلك وما أظلم الأفق الذى تستقبلين . املأى أجواء القصر بالعبير فى ليلة واحدة لقاء أجر معين ، فانك ستحملين من عيد إلى عيد حتى يرتعى السل صدرك الضعيف فتجودين بالحياة على المزابل بزفرة دامية

وأشد منك شقاء يازهرات الأعياد زهرة تشتريها سيدة مستبدة لاتطلب من الأزهار إلا أوائل أريجها حتى إذا تخدرت منها طرحتها إلى الخدم يجهزون عليها بعيدة عن الهواء فى ظلمات الليالى

ويل لهذه الأزهار تهمس أنينها همساً فلا يسمع أحد بلواها ، فهى مستعبدة صامتة لاتعرف إلا أن تحنى رأسها وتندفع إلى الفناء

تقتطف الزهرة من حضن أمها وتؤخذ بالعنف من بين أخواتها وأصحابها ، لتطرح حيث تجود بنضارتها وعبير صباها ، فيا للجريمة لاعقاب عليها !

لقد منعت القوانين نخاسة السود ولكنها ما منعت نخاسة الأزهار

ليهتف المصلحون بصوت وجدانهم فما من سميع وقد مات جان جاك روسو وبرنار دى سان بيار . ولكن من نستصرخ وإلى من نتجه ؟ أفليس أنصار الحق نفسهم المنادون بمنع النخاسة بين الناس هم الذين يتسلون تحت جنح الليل يتلهون بدوس الأزهار واقتلاع وريقاتها الطاهرة من تويجها الضعيف ... ؟

أفليست السلطة هى التى تسمح باقتلاع الأزهار من منابتها لتحمل إلى سحيق الأقطار حيث تعيش ولا أسرة لها لأن بذورها تطرح على أرض تخنقها وتواريها

ooo

مررت يوماً فى تلك الساحة ، فرأيت زنبقة رائعة الجمال يساوم عليها رجل هرم ألقت السنون غشاء على عينيه ، وهو يصب نظراته على الوريقات البيضاء فتختلج ويمد يده إلى

ساقها ليجس بضاضته ، فتلوى خجلا وذلا ، فانحدرت من أجفانى دمعة حرى رأيت مثلها تنحدر على مهل من التويج الأبيض ، فخيل إلى أن الزنبقة تقول لى : — اشترنى أنت ولا تتركنى فريسة فى يد هذا الرجل فإن نظراته تحرقنى ولمساته تقضى على ، أنقذنى فإنى إن تبعته أموت

هتفت : — سأخلصك أيتها الزهرة الطاهرة

فدهش الشيخ لهذا الهتاف ، فأدار وجهه نحوى وأرسل إلى نظرة الاحتقار مشيراً إلى الخادم ، فحمل الزنبقة وسار بها وعبثاً حاولت إقناع البائع بفسخ البيع لأن الشيخ كان قد أدى ثمن الأمة الشقية

تبعتها وأنا أزودها نظرات الأسى والحنان فكانت تبتسم لى بدموعها من بعيد . وتوارت عن ناظرى ، وفى صباح اليوم التالى وقفت أمام القصر أستخبر النسيم عن زهرتى الحزينة . ففتحت النافذة بعنف ورأيت الخادم يرمى بالزنبقة الذابلة إلى مطارح الأقذار

لكم من زهرة تجود بأنفاسها على مثل هذا الفراش ...

(ف . ف)

باقة من شعر طاغور

ترجمة الأديب نصرى عطا الله سوس

— ١ —

لقد خلعت أغنيتى كل زينتها

إنها لا تزهى بالملبس والزخرف

إن الزخرف ليفصم عرى وحدتنا ويقف بينى وبينك ، وطنينه يغرق همساتك

وإن زهوى كشاعر ليتبدد خجلا أمام مرآك .

آه يا مولاى الشاعر !

إنى أجلس عند قدميك

وكل ما أبغيه أن تجعل حياتى بسيطة ومستقيمة كعود من القصب ، كى تنفخ فيه موسيقاك

— ٢ —

أتناول يديها وأضمها إلى صدرى

وأحاول أن أملأ ذراعى بجمالها ، وأن أسرق بسمتها الحلوة بالقبل ، وأن أشرب نظراتها الفاتنة بعينى

آه ! ولكن أين ذلك ؟ من ذا الذى يستطيع فصل الزرقة عن السحاب ؟

أحاول امتلاك الجمال فيتملص منى ، تاركا « الجسم » وحده بين يدى فأرجع حائراً تعباً

كيف للجسم أن يلمس الزهرة التى لا تمسها إلا الروح ؟

— ٣ —

قلبى ، ذلك الطير الآبد وجد سماءه فى عينيك

إنهما مهد الصباح ومملكة النجوم .

إن أغانى تضيع فى أعماقهما .

دعينى أحلق فى هذه السماء المتفردة بلا نهائيتها

دعينى أشق سحبها وأنشر جناحىَّ فى نور شمسها

— ٤ —

قال : « حبيبتى ، ارفعى عينيك »

فنهرته فى حدة وقلت : « ابتعد » فلم يتحرك

وقف حيالى واجعل يدى الصغيرتين فى يديه فقلت : « اتركنى » ولكنه لم يذهب

مال علىّ بوجهه حتى لامس أذنى فنظرت اليه وقلت : « ياللعار ! » فلم يتحول

ولمست شفتاه خدى فارتعشتُ قائلة : « لقد تماديت كثيراً » فلم يخجل

ورشق زهرة فى شعرى فقلت : « بدون جدوى » ولكنه وقف ساكناً

ثم أخذ إكليل الزهر من عنق وذهب ...

إنى أبكى وأسائل قلبى : « لم لا يعود ؟ »

— ٥ —

أيها الحب

إن قلبي يتوق ليلا ونهاراً إلى أن يلقاك لقاء يستغرق كل شيء ... كلقاء الموت

إكتسحني كعاصفة

خذ كل ما لدى

شرد نعاسي

وانهب أحلامي واستلبني من دنياى

وفى ذلك الدمار ـ وفى العراء الروحى المطلق ، دعنا نصير وَحدة من الجمال

وأسفاه ! باطلة رغبتي

أين الأمل فى اندماج تام فيك وحدك ... يا الله .

— ٦ —

إن عينيك القلقتين الحزينتين تطلبان كنهى كما يطلب القمر أعماق البحر

لقد نزعت عن حياتى أثوابها أمام عينيك — لم أخف عنك شيئا من البداية للنهاية . ولذا أنت لا تعرفيني

لو كانت حياتى جوهرة لكسرتها مئات من القطع وصنعت منها عقدا يزين عنقك

لو كانت زهرة صغيرة رشيقة لقطفتها من جذرها ورشقتها فى شعرك !

ولكن حياتى ، قلب ، يا حبيبتي ... لا شواطىء له ولا نهاية .

إنك لا تعرفين حدود هذه المملكة ... ولو أنك ملكتها

***

لو كانت حياتى لحظة سرور لتفتحت عن بسمة لطيفة تدركينها فى لحظة !

لو أنها لم تكن غير ألم لذابت دموعاً شفافة تنعكس عليها أعمق أسرارها دون كلمة !

ولكنها حب ... يا حبيبتي

مسراتها وآلامها لا تحد

حاجاتها وثروتها أبديان

إنها قريبة منك كحياتك

ولكنك لا تستطيعين إدراك قرارها ...

— ٧ —

أنا أهواك يا غرامى فاغفرى لى حبى إياك

مثل عصفور ضال أسرْت

عندما هُزّ قلبي سقط عنه قناعه وعاد عاريا . دثريه بالشفقة يا حبيبتي ، واغفرى لى حبى .

إذا لم تستطيعى حبى — يا حبيبتي — فاغفرى لى ألمى

لا تنظرى إلى من بعيد بازدراء

سأسترق خطاى إلى زاويتي وأجلس فى الظلام

وأحجب خجلى العارى بكلتا يدى

فأشيحى بوجهك عنى واغفرى لى ألمى

***

حبيبتي ، إذا كنت تحبينني فاغفرى لى سرورى

وإذا حمل فيض السعادة قلبي بعيدا فلا تبسمى لاستسلامى للخطر

وعند ما أستوى على عرشى وأحكمك بقسوة الحب ، وعند ما أمنحك عطفى — كإله — تحملى كبريائى — يا حبيبتي — وسامحيني عن فرحى ...

— ٨ —

أيتها المرأة ! إنك لست من صنع الله فقط ، بل من صنع الرجال أيضاً

إنهم يضفون عليك من قلوبهم جمالا ...

الشعراء ينسجون لك نسيجاً من خيوط الخيال الذهبي ،

والرسامون يمنحون صيغتك خلوداً مجدداً

البحر يعطى لآلئه ، والمناجم ذهبها ، وحدائق الصيف أزهارها ، لتجملك وتجعلك أنفس مما أنت

رغبات قلوب الرجال تضفى مجدها على شبابك

إنك نصف امرأة ونصف حلم .

نصرى عطا الله سوس

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمـــد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١١ —

تطور البراهمية الأولى

نصت « الفيدا » على أن الخيرين يذهبون إلى جوار الآلهة ويمتزجون بهم فى عالم الخلود ، وأن الشريرين يذهبون على بعض الأقوال إلى العدم المطلق ، وعلى البعض الآخر يتجسدون من جديد . ولما أصبح القول بالرأى الأول يتنافى مع عقيدة خلود النفس التى كانت قد عمت جميع البيئات المفكرة على أثر إيمان الناس بأن العالم ليس إلا أجزاء « براجاباتى » المتناثرة ، فلم يبق إلا الأخذ بالقول الثانى ، فأخذوا به وتفلسفوا فيه ، فنقلوه من تجسد ساذج إلى تناسخ فلسفى معقد ، ولكنه كان تناسخاً آرياً ، مبعثه السرور من الحياة والتفاؤل فى تقدمها وسيرها نحو الكمال والرغبة فى الامتزاج بالإله « براجاباتى » والاتصال ببقية الآلهة والشغف بتحقق السرور والمعرفة الكاملة التى لا تتحقق إلا بالتناسخ الذى هو شبيه بفعل الإله « براجاباتى » فى تحقيق السرور والمعرفة ، إذ قررت شروح أحد نصوص « الفيدا » وهو النص الخاص بنثر أجزاء « براجاباتى » فى الكون ، أن هذه الأجزاء لم تنتثر إلا بدافعين قويين كانا عند هذا الإله : أحدهما الشغف بحيازة السرور ، والثانى الشوق إلى المعرفة . وإذاً ، فيجب أن يكون هذان المقصدان ضمن غايات التناسخ ليتم تشبهنا بهذا الإله الخير الذى رضى بتفريق أجزائه ، ليحوز السرور بوجودنا ، ولتحدث له المعرفة الكاملة بطوفان أجزائه فى الكون كله .

غير أن هذا التفاؤل لم يلبث أن تضاءل شيئاً فشيئاً حتى تلاشى نهائياً وحل محله تشاؤم قاتم قابض أثر فى الحياة الفكرية الهندية تأثيراً عميقاً . وقد نشأ هذا التشاؤم فى أول أمره من اعتقاد المفكرين فى أن الحياة خير كلها ، وأنها لهذا يجب الحرص عليها والتهالك فى الاستمساك بها ، ولكن قصرها من ناحية وعدم التحقق من الاستيلاء على زمامها من ناحية أخرى ، يوجدان حسرة فى القلب وضيقاً فى الصدر وشعوراً بخيبة الأمل يسود له المزاج وتنقبض له النفس ، وهذا هو الذى كان فى المبدأ ثم جعل يتطور مع الزمن حتى زالت العقيدة فى خيرية الحياة زوالا تاماً وحلت محلها عقيدة تناقضها تمام المناقضة ، وهى أن الانسان شقى تعس فى جميع أدوار حياته ، إذ هو فى حياته الأولى فريسة للمصائب والنكبات والمخاطر والأمراض ، وهو قاصر عن الاستحواذ التام على جميع المتع والمسرات ، وإذا حاز شيئاً منها فالأجل قصير جداً يستوجب الشفقة والرثاء ، فاذا ترك هذه الحياة كان أكثر تعاسة وبؤساً ، إذ هو ينتقل فى الأجسام المختلفة من وضيع إلى أوضع ، غير عارف بمصيره ولا متحقق من حظه ، لأن كل مرحلة من مراحل حياته المتعددة تقذف به إلى المرحلة التى تليها قذفاً دون إرادة منه ولا اختيار ، وفوق ذلك فهو مسئول فى كل مرحلة من هذه المراحل التناسخية أمام الآلهة مسئولية قاسية على ما اقترف أو ما هوى فيه قسر إرادته من آثام وسيئات

وإذاً فالحياة شر ، والعالم شر ، وهذا الوجود المادى كله شر ، وكله باطل ، والحقيقة هى غيره ، والاعتقاد بأن هذا العالم المادى هو متناثرات أجزاء « براجاباتى » — كما كان سائداً فى الزمن السابق — جريمة من الجرائم ، لأن الآلهة حق ، وهذا العالم المادى باطل ، ولا يمكن أن يكون الباطل من أجزاء الحق ، وإنما الصحيح هو أن أجزاء الحقيقة الالهية حالة فى هذا العالم المادى الباطل ، ولا وسيلة للخلوص من شر هذا العالم إلا استخلاص الحقيقة من الباطل ، ففى جانبنا الاستخلاص لا يتحقق إلا بالتخلى عن المادة ، وفى جانب الآلهة ، حسب الانسان أن يفهم أن وراء كل مظهر من هذه المظاهر حقيقة هى الجوهر الصحيح فى هذا المظهر . وهذه القاعدة عندهم تتناول حتى « براهما » رأس الآلهة نفسه ، فهم يعتقدون أن الحقيقة فى « براهما » هى « براهمان » أى الكائن

اللا شخصى أو الموجود المنزه عن الجرمية ، والحال حلولا غير مادى فى جميع عناصر الكون ، وأن ادراكه على هذه الصفة هو المحقق الأوحد للنجاة من التناسخ المؤلم ولضمان الخلود ، ولكن هذا الادراك لا يتيسر إلا بهجر المادة وتجنب جميع مظاهر الحياة العملية وتسليم النفس للتأمل العميق المنتهى إلى الغيبوبة والامتزاج بالله والفناء فى ذاته

الكتب الدينية فى عهد التطور

البرانات

« الفيدا » وهو الكتاب الأساسى للديانة البراهمية ، وهو وحده المنزل ، أما غيره من الكتب فهى من عمل البشر المصطفين الذين هم أقرب الناس إلى « براهما » وهى لذلك لا تصل من القداسة فى نفوس الشعب إلى المرتبة التى وصلت إليها « الفيدا » وهى كذلك غير معجزة ولا مستحيلة التقليد ولكن إمكان تقليدها مقصور على طائفة واحدة من المقربين وهى طائفة « راشين » من خواص البراهمة . وهاك حديث البيرونى عن هذا الكتاب :

« وأما البرانات — وتفسير بران : الأول القديم — فإنها ثمانية عشر ، وأكثرها مسماة بأسماء حيوانات وأناس وملائكة بسبب اشتمالها على أخبار أو بسبب نسبة الكلام فيها أو الجواب عن المسائل إليها وهى من عمل القوم المسمين : « رشين » والذى كان عندى منها مأخوذاً من الافواه بالسماع فهو « آدبران » أى الاول . و « مج بران » أى السمكة و « كوم بران » أى السلحفاة . و « براه بران » أى الخنزير و « نارسنك بران » أى الإنس الذى رأسه رأس أسد . و « يامن بران » أى الرجل المتقلص الأعضاء بصغرها . و « تاج بران » أى الريح . و « نند بران » وهو خادم له « مهاديو » و « اسكندبران » وهو ابن « مهاديو » . و « آدت بران » و « سوم بران » وهما النيران . و « سانب بران » وهو ابن « بشن » و « برهماندبران » وهو السماوات . و « ماركتويو بران » وهو « رش كبير » . و « تاركش بران » وهو العنقاء . و « بشن بران » وهو « ناراين » . و « براهم بران » وهو الطبيعة الموكلة بالعالم . و « بيشن بران » . وهو ذكر الكائنات فى المستأنف »

كتب أخرى

يروى لنا البيرونى كذلك أن للقوم كتباً كثيرة أخرى تعد بمثابة دساتير وقوانين دينية واجتماعية وأخلاقية . وقد لخص الكلام عنها فقال : « وأما كتاب « سمرت » فهو مستخرج من « بيذ » فى الأوامر والنواهى ، عمله أبناء « براهم » العشرون ولهم كتب فى فقه ملتهم وفى الكلام وفى الزهد والتأليه وطلب الخلاص من الدنيا مثل كتاب عمله « كورالزاهد » وعرف باسمه ومثل « سانك » عمله « كبل » فى الأمور الإلهية ومثل « باتنجل » فى طلب الخلاص واتحاد النفس بمعقولها ومثل « نايبهاش » لكابل فى « بيذ » وتفسيره وأنه مخلوق وتمييز الفرائض فيه من السنن . ومثل « ميمانس » عمله « جيمن » فى هذا المعنى . ومثل « لوكايت » عمله المشترى » الخ

ألوهية الطور الجديد

كان العامة فى الهند بعد تطور « البراهمة » يعتقدون بوجود ثلاثة آلهة : الأول « براهما » وهو الرئيس الأعلى . الثانى « فيسنو » وهو إله الحياة الدائب على إنماء الحياة وإزهارها ، والثالث « سيفا » وهو إله التدمير والخراب الذى أهم مميزاته الهدم والإبادة والذى لولا سلطان « براهما » لصير الحياة منذ زمن بعيد أثراً بعد عين ، ولكن « براهما » الغير المحدود القوة يمسكها دائماً أن تميد ويحفظها من شر هذا المدمر الوحشى .

هذا عند العامة . أما الخاصة فكانوا يعتقدون - كما أسلفنا - بوجود إله واحد أزلى أبوى منزه عن الاستعانة بغيره وعن كل ما يوجب نقصه فى زعمهم .

وأبو الريحان البيرونى يذهب فى كتابه إلى ما هو أبعد من هذا فيؤكد أن فكرة الألوهية عند خاصة الهنود كانت سامية جليلة ، وأنهم كانوا يعبدون إلهاً متصفاً بكل كمال ، منزها عن كل نقص . ويعلق على هذا بقوله : « ولنورد فى ذلك شيئا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشىء المسموع

فقط » ثم يروى بعد ذلك محادثة وردت فى أحد كتبهم المقدسة بين سائل مسترشد ومجيب موضح ؛ وفى هذه المحادثة يرى الباحث الأدلة ناصعة على ما يدعيه البيرونى من سمو التأليه عند خاصة الهند . وإليكم نص هذه المحادثة : قال السائل فى كتاب « باتنجل » : « من هذا المعبود الذى ينال التوفيق بعبادته ؟ . قال المجيب : « هو المستغنى بازليته ووحدانيته عن فعل لمكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى ، أو شدة تخاف وتتقى ، والبرىء عن الأفكار لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة ؛ والعالم بذاته سرمدى . إن العلم الطارىء يكون لما لم يكن بمعلوم ، وليس الجهل بمتجه عليه فى وقت ما أو حال » ثم يقول السائل بعد ذلك : « فهل له من الصفات غير ما ذكرت ؟ ويقول المجيب : « له العلو التام فى القدر ، لا المكان ، فانه يجل عن التمكن ، وهو الخير المحض التام الذى يشتاقه كل موجود ، وهو العلم الخالص من دنس اللهو والجهل » : قال السائل : « أفتصفه بالكلام أم لا ؟ » ، قال المجيب « اذا كان عالما فهو لا محالة متكلم » ، قال السائل : « فان كان متكلما لأجل علمه ، فما الفرق بينه وبين العلماء والحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ ... قال المجيب : « الفرق بينهم هو الزمان فانهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم ، فكلامهم وإفادتهم فى زمان ؛ وإذ ليس للأمور الالهية بالزمان اتصال . فالله سبحانه عالم متكلم فى الأزل ، وهو الذى « براهم » وغيره من الأوائل على أنحاء شتى ، فمنهم من ألقى اليه كتابا ، ومنهم من فتح لواسطة اليه بابا ، ومنهم من أوحى اليه فنال بالفكر ما أفاض عليه » ، قال السائل : « فمن أين له هذا العلم ؟ » قال المجيب : « علمه على حاله فى الأزل وإن لم يجهل قط ، فذاته عالمة لم تكتسب علما لم يكن له كما قال فى « بيذ » ، قال السائل : « كيف تعبدون من لم يلحقه الاحساس ؟ » قال المجيب : « تسميته تثبت أنيته ، فالخبر لا يكون إلا عن شىء ، والاسم لا يكون إلا لمسمى ، وهو وإن غاب عن الحواس فلم تدركه ، فقد عقلته النفس وأحاطت بصفاته الفطرة ، وهذه هى عبادته الخالصة ، وبالمواظبة عليها تنال السعادة

ثم يعقب البيرونى على هذه المحادثة بقوله : فهذا كلامهم فى هذا الكتاب المشهور . وفى كتاب « كينا » وهو جزء من كتاب « بهارث » ، فيما جرى بين « باسديو » و « أرجن » : إنى أنا الكل من غير مبدأ بولادة ومنتهى بوفاة ، لا أقصد بفعلى مكافأة ولا أختص بطبقة دون أخرى لصداقة أو عداوة ؛ قد أعطيت كلا من خلقى حاجته فى فعله ، فمن عرفنى بهذه الصفة وتشبه بى فى إبعاد الطمع عن العمل ، انحل وثاقه ، وسهل خلاصه وعتاقه » ، وهذا كما قيل فى حد الفلسفة : إنها التقيل بالله ما أمكن . وقال فى هذا الكتاب : « أكثر الناس يلجئهم الطمع فى الحاجات إلى الله . وإذا حققت الأمر لديهم وجدتهم من معرفته فى مكان سحيق ، لأن الله ليس بظاهر لكل أحد يدركه بحواسه ، فلذلك جهلوه ، فمنهم من لم يتجاوز فيه المحسوسات ، ومنهم من إذا تجاوزها وقف عند المطبوعات ، ولم يعرفوا أن فوقها من لم يلد ولم يولد ولم يحط بعين أنيته أحد ، وهو المحيط بكل شىء علما » (١)

(يتبع) **محمد غلاب**

(١) انظر صفحتى ١٣ ، ١٤ من كتاب البيرونى

الموشح

للأستاذ توفيق الضوى

لقد كان الشعر فى أول أمره سجعاً غير مقيد بالقوافى الموحدة ؛ إنما كان قطعاً قطعاً وشذوراً شذوراً كل اثنتين منها أو أكثر على قافية واحدة ، ثم توحدت القوافى فى بعض الأوزان الشعرية انطلاقا مع الأفكار والمحاكاة ، عدا الأراجيز التى بقيت مختلفة القوافى فسهل النظم عليها فى القواعد والضوابط التى هى من القيود المتينة ، ثم لما كثرت الأغراض وضاقت قوافى الشعر عن استيعابها عدل الأندلسيون إلى التفنن فيها فأوجدوا الموشحات غير متقيدين بالقوافى الواحدة ، بل تفننوا فيها بمظاهر مختلفة ذهابا مع الأفكار وهياما فى سماء الخيال . على أن للقريحة والذوق وللحس والخيال تأثيرا كبيرا على الشعر وتجديده وابتكار معانيه والتصرف فى قوافيه والتلاعب بأوزانه فوق ما لتأثير السلالة والاقليم والعمران وما يتعلق بها ، فلهذا كان الفرق بين الشعر العربى والأعجمى عند الأمم ، وبين الغربى والشرقى عند العرب . ومن المعلوم أن فنون الشعر سبعة : هى القريض ، والموشح ، والدوبيت ، والمواليا ، والزجل ، والكان وكان ، والقوما ، وقيل إن الحماق منها أيضاً فتكون ثمانية . وثلاثة من فنون الشعر هذه معربة ولا يغتفر اللحن فيها ، وهى القريض والموشح والدوبيت ؛ وثلاثة ملحونة دائما وهى الزجل وكان وكان والقوما . وأما المواليا فيحتمل الاعراب واللحن . والآن نتكلم عن الموشح الذى هو مدار بحثنا ...

فالموشح فن من فنون الشعر الرائعة التى توسع فيها شعراء الاندلس اطلاقا لبنات أفكارهم فى سماء الخيال فأجادوا ما شاءت بلاغتهم وعنايتهم فى اظهار المنظومات فى قالب جديد مطبوعة على غرار جميل مطرزة بوشى لطيف حتى تفوقوا على غيرهم بهذا التصرف البديع الذى اقتبسه عنهم المغاربة فالمصريون فالسوريون فالعراقيون ، وعم عالم الشعر العربى الذى زاده التوشيح محاكاة فوق محاكاة أوزانه المطربة ، فكانت الموشحات موسيقى الشعر التى تضرب على أوتار القلوب ، فتناولها الشعراء بمنتهى الاقبال والتكريم وتباروا فى الاجادة فى فنونها هائمين فى سهولها وضروبها ، راشفين من صافى معينها ، واصفين مظاهر الطبيعة والعالم على اختلاف شؤونها . فالاندلس أم الموشحات ، وصفاء أذهان شعرائها رأس هذه الاختراعات ... وهذا ما قاله صفوان المرسى الاندلسى يصف تأثير مناظر الاندلس فى شعرائها حتى أحسنوا النظم والنثر متفوقين فيهما على غيرهم

هنالك بين الغصن والقطر والصبا
وزهر الربى ولدت، آدابى الغُرا
إذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى
تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وإن نثرت ريح الصبا زهرَ الربى
تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسمار هناك اقتبستها
ولم أر روضا غيره يقرىء السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها
فيملأ فاها من أزاهره درا

قال ابن خلدون فى الموشح : لما كثر الشعر فى الأندلس وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه الموشح ينظمونه اسماطا أسماطاو أغصانا أغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عدد قوافى تلك الأغصان وأوراقها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة . وأكثر ما ينتهى عندهم إلى سبعة أبيات . ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد . وتجاروا فى ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه .

قال أبو عبد الله محمد الأزرق الأندلسى فى مدح موشحه ذهابا إلى القصيدة :

بعثت بها عذراء رائعة الحلى   قضت أنها للمُعلمات مرشحة
توشحت اللفظ البديع وأقبلت   فها هي تبدو للعيون موشحة

ووصفها ابن دحية الأندلسى بقوله :

الموشحات هى زبدة الشعر ونسبته ، وخلاصة جوهره وصفوته . وهى من الفنون التى أغرب بها أهل المغرب على أهل

المشرق ، وظهروافيهاظهورالشمس الطالعة والضياء المشرق ...
وقال ابن معصوم فى سلافة العصر : ولأهل اليمن أيضاً نظم يسمونه الموشح غير موشح أهل المغرب ؛ والفرق بينهما أن موشح أهل المغرب يراعى فيه الاعراب ، وإن وقع اللحن فى بعض الموشحات التى هى على طريقتهم لكون ناظمه جاهلا بالعربية فلا عبرة به ، بخلاف موشح أهل اليمن فانه لا يراعى فيه شىء من الاعراب بل اللحن فيه أعذب ، وحكمه فى ذلك حكم الزجل

وللموشحات اصطلاحات لا بد منها ، مثل اللازمة ، والمبدأ ، والدور ، والدرج ، والبطايحى ، والمجنح ، والخرجة ، والسلسلة ، والقفلة ، والانصراف ، والمجنب الخ

وأول من اخترع الموشحات فى شبه جزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريرى؛والفريرى نسبة إلى فريرة وهوحصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة ؛ وقد يكون جده منسوباً إلى فرير وهى قرية بين جيحون وبخارى فى بلادالعجم ، أو بلدة بخراسان كما ذكر السمعانى فى أنسابه وياقوت الرومى فى معجم البلدان . وهو من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى (٢٧٣ هـ ، ٨٨٦ م) وأخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد ربه مؤلف العقد الفريد . وجاء بعدهما كثير من الشعراء فتفننوا فى الموشحات حتى فاقوا من سبقهم فاشتهرت موشحاتهم ، وأشهرهم عبادة القزاز وغيرهم . وانتقل بعد ذلك الموشح من الأندلس إلى المغرب ، ومن هذه إلى مصر ، ومنها اتصلت بسورية فالعراق ، وذلك فى العصر العباسى الرابع وفى أثناء القرن السادس للهجرة ...

قال الزبيدى فى معجم تاج العروس : التوشيح اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون ، وهو فن عجيب له أسماط وغصون وأعاريض مختلفة ، وأكثر ماينتهى عندهم إلى سبعة أبيات . وقال أيضاً : الوشاح بالضم والكسر رسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما ، تتوشح المرأة به ، ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه ، وقال غيره أخذ التوشح من الظبية الموشحة وهى التى فى جنبها طرتان

قال القيراطى موجهاً بالزجل والموشح ذهاباً إلى الشعر :

أرتاح للأقمار وهى طوالع ... وشموس راحى للمغارب تجنح
ويهزنى زجل الطيور بلحنها ... والروض بالزهر النظيم موشح

وباختراع فن الموشح كان له الأثر العظيم فى الشعر الأوربى ، فحاكى شعراؤهم هذه الأوزان والأشكال كما نرى فى منظوماتهم ، ولاسيما قصائد فكتور هوجو شاعر فرنسا فى ديوانه المسمى بالشرقيات ، وكذلك قصائد غوته الشاعر الالمانى وغيرهما من شعراء بقية الأمم الأوربية التى وقفت على أشعار عرب الاندلس وموشحاتهم الخالدة، فكانت القافية عندهم لا تلتزم فى أكثر من بيتين كالأراجيز عندنا ، أو أنها تلتزم فى أبيات وتتغير وتعود إلى اللازمة كما فى الموشحات ؛ ومنها نوع من الشعر يسمونه الأبيض وهو ما كان غير مقفى كشعر شكسبير شاعر الانكليز وغيره ...

قال أبو الوليد بن رشد الأندلسى فى تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر ما نصه : والمحاكاة فى الأقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء : من قبل النغم المتفقة ، ومن قبل الوزن ، ومن قبل التشبيه نفسه . وهذه قد يوجد كل واحد منها مفرداً عن صاحبه مثل وجود النغم فى المزامير ، والوزن فى الرقص ، والمحاكاة فى اللفظ : أعنى الأقاويل المخيلة غير الموزونة . وقد تجتمع هذه الثلاثة بأسرها مثل ما يوجد عندنا فى النوع الذى يسمى الموشحات والأزجال وهى الأشعار التى استنبطها فى هذا اللسان أهل هذه الجزيرة إذ كانت الأشعار الطبيعية هى ماجمعت الأمرين جميعاً ؛ فالصناعة المخيلة أو التى تفعل فعل التخييل ، ثلاثة ... صناعة اللحن ، والوزن ، وعمل الأقاويل المحاكية . ومن أبدع فنون الموشحات كتاب المديحات لعبدالمنعم عمر بن حسان الغسانى الأندلسى الجليانى الفه سنة ٥٦٩ هـ ويوجد فى المكتبة الخالدية فى القدس الشريف ، وكتاب جيش التوشح للسان الدين بن الخطيب ، وعقود اللآل فى الموشحات والأزجال ، لشمس الدين النواحى ، ردار الطراز فى عمل الموشحات لابن سناء الملك ، والدر المكنون فى سبعة فنون لمحمد احمد بن إياس الحنفى ، وحاوى الفنون وسلوة المحزون لابن الطحان وغيرها من المؤلفات القديمة القيمة . هذه كلمة موجزة عن تاريخ الموشح وعمله كتبتها خدمة لهواة الشعر والموسيقى ليكونوا على علم باصول الموشح وتاريخه لارتباطه الوثيق بفن الموسيقى والغناء

(اسكندرية) **توفيق الصوى**

أستاذ فى الموسيقى

من روائع أدب الغرب

ناقوس القرية

LA CLOCHE DU VILLAGE

لشاعر الحب والجمال : ألفونس دى لامرتين

الحياة : موجة فى خضم تأوهات ، صبرها الشهد ، كأس المجد ، تملأ بالعبرات . « لامرتين »

كالزفرات تعلو خفقات الناقوس الخاشع المتئدة . الأحراج تمسكها . الوديان تبددها . يد الصغير ، توازن كأسه ، وتفرغ نغمات الأرض العلوية ، فى نسيم الليل المدلهم .

رجف من أصواته العالية ، جزء من خفقاته المتوالية . البلبل يطير تاركا بيته المضطرب . مياه الغدير المتموجة ، تجنى الأزهار اليانعة من جوانبه . أرملة القرية ، تركع لصدى نغماته تترك خيط مغزلها لترسل الرحمات للموتى .

يوقظ فى قلبى ، غناء هذا البرج الرنان ...
لا سرور النهار الذى انتهى ،
ولا بؤس اليوم الذى انقضى ،
ولا صور الماضى الفتية ، والذكريات الغنية ، التى تهدمت فى هذه الطرقات بين الأنوار الذابلة .
لا نومى الهادىء فى ظلال أغصان الدلب الندية ،
ولا أول نسمة فى حياتى ،
ولا صوت أقدامى التائهة ، فوق هذه الذروات العالية ،
ولا السرور العظيم تحمله إلى موجاتك يا نسيم الصبا ، المثقل بالروائح العطرة التى لا تنضب .

لا ذكرى الجواد الواقف فى المرج وقد لوى عنقه الحريزى على يدى المدربة ، ومزج ضفائر عنقه ، بشعرات رأسى الشقراء ، والأرض ترن تحت سنابكه القوية كالسندان ، بينا ردفه يحملنى ، وزبد شدقيه يكسو فضة ناصعة حشائش الوادى .

لا الحب نفسه ...
الحب ، الفجر الأول فى الحياة .
حيث شهور الربيع تجرى ماء الحياة فى نسغ النبات ، فتزهر العقول وتخضر الأحراج .

فى الظلال أصوات العذارى الحاملات الجرار لملئها من الينبوع ، تصل لسمعى وئيدة ، فتدب فى جسدى الرعشة
ولا أنت ...
أنت التى أبكيك أبداً ،
الفورة الأولى لدمى ،
صوت الفؤاد الذى يغنى ، ويوقظ فى روحى الدمدمة السحرية ، معطرة بالعنبر ، فتنثر فى الأجواء رياح الشعر
أواه . أيها المجد ، ولا أنت ...

لا الشتاء يحمل اليك دون أسف أيامى مع بقايا الأعشاب الفارغة من الحب .

ونثرات الأوراق الذابلة ، وصدى المجد الفارغ .
أعشاب الطريق ، مزروعات علوية ، تعطر الأقدام ، ولكن جذورها لا تغرس فى القلوب .

لا أكاليل الأعراس ، يقطفون زهورها فى المساء ، فيسممها الحقد ، ويذبلها الحسد .

ولا ما يهب الحياة نشوة ، تاج المجد المحطم تحت يدى .
الزهرات المعارة ، لا تمسكها ساق ، تذبل وتجف ، ثم تقع من فوق الجبين

* * *

هو ذاك اليوم .
أصواتك ممتزجة بزفرات امرأة ، مخضلة بالعبرات ، مترعة باليأس ، رنت فى أرجاء الوادى ، تبكى نعشين مرّا ، يجللهما الحزن ، ويسبل عليهما الألم رداءه ،
فى قبر واحد ، دُفنت أرواح ثلاثة ونسيت على حافة اللحد .

من الفجر حتى الليل ، من الليل حتى الفجر ، تذرف الدمع أيها الناقوس ، كما أذرفه . تجمع بين قلبينا زفرة محرقة . الأهوية والسماء تردد نواحك ، كما لو فقد كل كوكب أمه ، وكل نسيم ولده .

من ذلك اليوم رناتك المقدسة ارتسمت فى ذاكرتى المفجعة ، وامتزجت بكأس آلامى المترعة . اختلطت زفراتك بأصوات قلبى ، وترددصداها فى أنحائه . معدنك الرنان المغموس فى اللهيب يماثلنى عند ما يبكى ، هو قطعة من روحى ، يوقع عليها ملاك نغماتك .

أرقد لغفلتك ، وانهض ليقظتك . صوت نعيك ، صديق تسمعه أذناى . بين رنين الأجراس ،أفرق نغمتك . تغمرنى موجاتك . كالأجراس تعلو فى جنباتها رنات بعوضة طائرة .

أقول لنفسى : هذه الزفرة الحزينة المبهمة ، يحملها إلى نسيم الليل العميق ، موجة إثر موجة . أواه ! لأجلى تتردد هذه الأصوات العالية . أفهم ما يقول . ويدرك ما أفكر . والهواء الجاهل فى هذا السكون المحتدم يحمل إلى لهجته المؤثرة .

أقول لنفسى : صوت هذا المعدن المتردد ، قبل أن يصل إلى قلبى ، ويغمر جنباته ويغرق قطعاته ، اهتز فوق أطلال الماضى الراقد ، يحمل إلى من بقايا قبته المنهدمة أشياء .

حجر القبر ، حيث دفن حى ، يقرع بهذا اللحن العذب .

لا تعجب ياولدى إذا اهتزت أفكارى لأصوات هذا الناقوس . مغرم بصمته الأمين للردى . لأول رنة تختلج تحت قبته أقف مصغيا لما يحمله إلى الحمام

أما أنت ، مذياع الحزن البشرى الذى اخترعته الأرض لتجهر بآلامها . غن نشيد القلوب المحطمة الرائع ، فزفراتك تهب الأحجار روحاً ، والمقل الجافة دموعاً ، والصلاة خشوعاً أبدياً ، والقبور حزناً سرمدياً .

***

عند ما يحمل العمال نفسى وبقايا حطامى ، تبق هنا روحى تقذف حممها الملتهبة نحو السماء . البا كون ، حاشية باردة ، تسير خلفى ، لتضع جسدى ، تحت باب حقير ، ترتمى عليه أشعة الشموس .

إذا يدٌ ورعة قرعتك لشرفى . فلا تحزن مخلوقا بزفراتك المتصاعدة . لا تنشر الدموع فى الأفق . التمس جرس العيد واقرع فوق لحدى ، برنة سلسلة سجن قرحة تقع على عتبته غرد كالعندليب لحناً خالداً ، يرتفع من منزلك ، والسوط الأسمر يوجه نحو فجر النهار خفقته المحزنة .

غن أنشودتك المترددة فى أعماق السموات تطفئ شهوة الخصوم المتشبثين بأدران الحياة .

إليك

اقرع قبل اليوم ، دق رويدا الساعة . صديق فى منزلى الحقير ، يحضر ليضئ فى هذا القلب المهدم ، الحزن العميم ، ويترك قبل أن يذهب قطرتين من العطر تضمخان طويلا كفنى .

حسين تفكجى

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

فى بلاد المدنية :

ذهبت بعيداً طائراً فى أجواء المستقبل فارتعشت وذعرت عند ما نظرت ما حولى فما وجدت من معاصر لى غير الزمان . وليت الأدبار مسرعا حتى وصلت إليكم ، يارجال اليوم ، ونزلت بينكم فى بلاد المدنية ، فألقيت عليكم أول نظراتى بصفاء نية لأنى جئتكم بقلب مصدوع ، ولا أعلم ما أهاب بى إلى الضحك بالرغم من ارتياعى ، فان عينى ما رأت من قبل مثل هذه الخطوط والألوان .

ذهبت فى ضحكى وقد ارتعش قلبى واصطكت رجلاى فقلت فى نفسى (لعل هذه مصانع آنية المواد الملونة) .

لقد برزتم أمامى يارجال اليوم ، وعلى وجوهكم وأعضائكم من الألوان عشرات الأنواع ، وحولكم عشرات المرايا تعكس تموجات ألوانكم ؛ والحق أنكم لا تستطيعون أن تجدوا ما تتقنعون به أشد غرابة من وجوهكم نفسها ، يا رجال اليوم ، فمن له أن يعرف من أنتم ؟

لقد حفر الماضى فى وجوهكم آثاره فألقيتم فوقها آثاراً جديدة ، لذلك خفيت حقيقتكم عن كل معبر وأعجزت كل بيان .

ولو كان لأحد أن يفحص الأحشاء فهل بوسعكم أن تثبتوا أن لكم أحشاء . وما أنتم إلا جبلة هباب ألوان وقطع أوراق ألصقت إلصاقا . وهذه جميع الأزمنة وجميع الشعوب تتزاحم مرسلة نظراتها من وراء قناعكم كما تفصح جميع حركاتكم عن تراكم كل العادات والمعتقدات فيكم . فاذا ما نزعت أقنعتكم وألقيت أحمالكم ومسحت ألوانكم ووقفت حركاتكم فلا يبقى منكم إلا شبح ينصب مفزعة للطيور .

والحق ، ما أنا إلا طائر مروع ، لأنى رأيتكم يوماً عراة لا تستركم ألوانكم فاستولى الذعر على إذ انتصبتم أمامى هيا كل

عظام تومىء إلى باشارات العاشقين .

إننى أفضل أن أكون من عمال الجحيم وخدام الأشباح ، لأن لسكان الجحيم ما ليس لكم من شخصية مبينة ، وأمرّ ما ألقاه هو أن أنظر اليكم سواء استترتم أو تعريتم ، يارجال اليوم ...

إن جميع ما يدعو إلى القلق فى آتي الزمان وجميع ما ارتاعت له فى الماضى تائهات الطير ، إنما هو أدعى الى الاطمئنان والارتياح من حقيقتكم ، لأنكم أنتم القائلون : (إنما نحن الحقيقة المجردة عن كل خرافة واعتقاد) وبهذا تتبجحون وتنتفخون دون أن يكون لكم صدور .

وهل من عقيدة لكم وأنتم المبرقشون بجميع ما عرف الزمان من ألوان حتى اليوم ؟ وهل أنتم إلا دحض صريح للايمان نفسه وتفكيك للأفكار جميعها ؟ فانتم كائنات أوهام يامن تدعون أنكم رجال الحقائق .

لقد قامت العصور كلها تتعارك فى تفكيركم ، وما كانت هذه العصور فى أحلامها وهذيانها إلا أقرب إلى الحقيقة من تفكيركم وأنتم منتبهون .

بليتم بالعقم ففقدتم الايمان وقد كانت للمبدع أحلامه وكواكبه قبلكم فوثق من إيمانه .

ما أنتم إلا أبواب فتحت مصاريعها لحفار القبور ، وما حقيقتكم إلا القول بأن كل شيء يستحق الزوال .

إنكم تنتصبون أمامى كهيا كل عظام متحركة ، أيها المبتلون بالعقم ، ولا ريب فى أن أكثركم لم يخف عليه أمر نفسه عند ما تساءل : (هل اختطف إله منى شيئاً وأنا نائم ؟ والحق أن ما سلب منى يكفى لايجاد امرأة ، فما أضعف أضلاعى) هكذا يتكلم العدد الوفير من رجال هذا الزمان .

إن حالكم ليضحكنى أيها الرجال ؛ ويزيد فى ضحكى أنكم لأنفسكم مستغربون . ولشد ما يكون ويلى لو امتنع على أن أضحك من استغرابكم ولو اضطررت إلى ازدراد ما فى أوعيتكم من كريه الطعام .

إنى أستخف بكم لما على عاتقى من ثقيل الأحمال فما يهمنى لو نزل عليها بعض الذباب فانه لن يزيدها ثقلا وما أنتم من يحملنى أشد الاتعاب أيها المعاصرون .

واأسفاه ! إلى أية ذروة يجب على أن أرتقى بأشواقى فانى أدير لحاظى من أعالى الذرى مفتشاً عبثاً عن مسقط رأسى وأوطانى ، فانا لا أزال فى أول مرحلتى تائهاً فى المدن أتنقل أمام أبوابها .

لقد اندفعت بعواطفى نحو رجال هذه الأيام ، ولكننى ما لبثت أن تبينت فيهم قوماً غرباء عنى لا يستحقون إلا السخريتى ، وهكذا أصبحت طريداً يتشوق إلى مسقط رأسه وأوطانه . ولا وطن لى بعد الآن إلا وطن أبنائى فى الأرض المجهولة وسط البحار السحيقة ، لذلك وجب على أن أندفع بشراعى علىّ صفحات المياه لأفتش عنه .

علىّ أن أكفر عن ذنبى أمام أبنائى لأنى كنت ابناً لآبائى .

علىّ أن أكفر عن حالى العتيد بكل جهودى فى آتى الزمان

هكذا تكلم زارا .

المعرفة الطاهرة

عند ما أطلّ القمر علىّ ليلة أمس خيل إلى أنه أنثى أثقلها الحبل وكأن فى أحشائها كوكب النهار . وقد جاءها المخاض وأنا أميل إلى تذكير القمر منى إلى تأنيثه وان خلا من صفات الرجولة فانه رائد ليل يمر على السطوح وقد ساءت نواياه ، فهو كالراهب المتدفق شهوة وحسدا يتمنى لو يتمتع بملذات جميع العاشقين

لا ، إنى لا أحب هذا الهر المتجول على مزاريب السطوح ، لأنى أكره كل متلصص أمام النوافذ التى لم يحكم إقفالها .

ان القمر ليمر خاشعاً متعبدا على بساط النجوم وأنا أكره كل من ينساب فى مشيته فلا تسمع وقعاً لأقدامه . فإن خطوات الرجل الصريح تستنطق الأرض ؛ وما يمشى الهر إلا متجسساً ، وهذا القمر لا يتقدم إلا بخطوات الغدر كالهر .

ما أوردت هذا المثل إلا لكم وعنكم يا أبناء الخبث وقد أرهفتم احساسكم لطلب المعرفة الصافية ، وما أنتم فى نظرى إلا عبيد الملذات لأنكم أنتم أيضاً تحبون الأرض وما عليها ومنها . لقد عرفت طويتكم فاذا فى حبكم ما يخجل وما يفسد الأخلاق ، فما أشد شبهكم بكوكب الليل .

لقد أقنعوكم بأن تحتقروا كل ما ينشأ من التراب ، ولكن

هذا الاقناع لم ينفذ إلى أحشائكم ، وأحشاؤكم هي أقوى ما فيكم ؛ وهكذا أصبح عقلكم خجلا من سيطرة أحشائكم عليه ، فهو يتبع الطرق الخفية المضللة فزعاً من حجله . أنصتوا إلى مناجاة عقلكم لنفسه فهو يقول : ليت لى أن أرتقى إلى حيث أنظر إلى الحياة محرراً من الشهوة فلا ألهث أمامها ككلب يدلى لسانه وقد شفه السغب من شهوته .

ليت لى أن أسعد بالتأمل متفوقاً على إرادتى متحرراً من خساسة الأنانية ومطامحها فيسود على السلام ولا يبقى لعينى سوى لحظات القمر الثملة .

ان عقلكم يطلب التملص من ذاته لأنه طريد يشتهى أن يتعشق الأرض كما يتعشقها القمر فلا تتمتع إلا عيونكم بجمالها

ان عقلكم يرى المعرفة الظاهرة لا تحتله ما لم ينبسط أمام الأشياء دون امتلاكها مكتفياً بانعكاس أشباحها عليه كما تنعكس الأشباح على مرآة لها مئات العيون .

أيها الخبثاء المتحرقون بالشهوات ، لقد خلت شهوتكم من الطهارة فلذلك تجدفون على الشهوة ، فأنتم لا تحبون الأرض كما يحبها المبدعون والمجددون الذين يسرون بما يبدعون وبما يجددون . فلا طهارة إلا حيث تتجلى إرادة الابداع ، فمن اتجه إلى خلق من يتفوق عليه فذلك عندى صاحب أطهر إرادة وأنقاها .

طلبت الجمال فما وجدته إلا حيث تنصب الارادة بأكملها إلى المراد ، وحيث يرتضى الانسان بالزوال لتجديد الصور وتبديلها ، فالمحبة والموت صنوان متلازمان منذ الأزل فمن أراد المحبة فقد رضى بالموت . هذا ما أقوله لكم أيها الجبناء

ولكن نظراتكم المنحرفة المؤنثة تحب الاستغراق فى التأمل فتريدون أن يدعى جمالا ما تحدجونه أنتم بعين الحذر والجبن ؛ إنكم لتدنسون أشرف الأسماء .

ان اللعنة التى تحل بكم ، أيها السائرون وراء المعرفة الطاهرة إنما هى عجزكم عن التوليد فى حين أنكم تلوحون كالحبالى المثقلات على الآفاق .

إنكم تحشون أفواهكم بأنبل الكلمات لايهامنا بأن قلبكم يتدفق عطفاً وما أنتم إلا منافقون .

لقد أخشنت القول لكم فكلماتى مشوهة ذرية ؛ غير أننى أتناولها من الفتات المتساقط من موائد ولائمكم فأستعملها حين أعلن الحقيقة للخبثاء . وهذا ما بيدى من حسك وأصداف يخدش آنافكم أيها الخبثاء .

إن الهواء الفاسد يهب بلا انقطاع حولكم وحول مآدبكم لأنه مشبع من أفكاركم الدنسة وأكاذيبكم وخداعكم .

عليكم بأن تبدأوا باطراح خوركم لتتوصلوا إلى الوثوق بأنفسكم فما ينقطع عن الكذب من لا ثقة له بنفسه

لقد أخفيتم وجوهكم بأقنعة الآلهة أيها الرجال الأتقياء فأنتم ديدان قبيحة تتشح برداء الارباب

إنكم لجد متبجحين يا رجال التأمل ، حتى أن زارا نفسه أخذ بمظاهر جلودكم الالهية فخفيت عنه الأفاعى الكامنة وراءها

لقد كنت أرى فى عيونكم روح إله أيها الطالبون المعرفة الطاهرة ، قبل أن تكشف لى تصنعكم فعرفت أنكم أمهر المتصنعين

لقد بعد المجال بينى وبينكم فما تميزت فيكم الثعبان القبيح ، ولا وصلت إلى رائحته الكريهة ، وماخطر لى أن أمامى حرباء تتلون بشهواتها . ولكننى عند ما اقتربت منكم تبددت الظلمة حولى . وهاإن الفجر يغمركم بأنواره فلكل قمر جنوح إلى الغياب فى شهوته . أنظروا إلى هذا القمر فهو فى أفقه شاحب مذعور وقد باغته الفجر بأنواره المرسلة ، فكل شمس يتجلى حبها الطاهر فى تشوقها إلى الابداع

أما ترون الفجر ينسحب على البحر وقد اهتاجه الشوق والحنين ؟ إنما تشعرون بظمأه فى حبه وحر أنفاسه ، فكأنه يريد ارتشاف اللجج . وهاهي ذى تتعالى نحوه بآلاف نهودها ، واللجة نفسها متشوقة إلى وصال كوكب النهار ليرشفها ارتشافاً فتتحول إلى سحب ومسالك أنوار ، بل هى نفسها تفنى فى النور متحولة إلى نور

وأنا كوكب النهار أحب الحياة وكل لجة بعيدة الأغوار ؛ تلك هى معرفتى . اننى أجتذب كل غور ليتعالى إلىَّ ...

هكذا تكلم زارا ...

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١١٨ — المرأة والكتب

فى (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة : حدثنى الشيخ شديد الدين المنطق بمصر قال : كان الأمير ابن فاتك محبا لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب ، فكان فى أكثر أوقاته اذا نزل من الركوب لايفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة . وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة . فلما توفى (رحمه الله) نهضت هى وجوار معها إلى خزائن كتبه ، وفى قلبها من الكتب ، وانه كان يشتغل بها عنها(١) ، فجعلت تندبه ، وفى أثناء ذلك ترمى الكتب فى بركة ماء كبيرة فى وسط الدار هى وجواريها ... ثم أشيلت الكتب بعد ذلك من الماء ، وقد غرق أكثرها ، فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال

١١٩ — على الطنبور

قال جحظة : وهب لى جعفر بن المأمون طنبور عبيدة الطنبورية فاذا عليه مكتوب بآبنُوس :

كل شيء سوى الخيانة فى الحب يحتمل

١٢٠ — حتى متى ارقعك ؟

قال أسماء بن خارجة لجاريته :

اخضبيني

فقالت : حتى متى أرقعك ؟!

فقال :

عيرتني خلقاً أبليت جدته ... وهل رأيت جديداً لم يعد خلقا

(١) فى (الوفيات) : قال القاضي ابن بكار : قالت ابنة أختى لاهلنا : خالى خير رجل لأهله لا يتخذ ضرة ، ولا يشترى جارية ، فقالت المرأة : لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر وأصعب . . .

١٢١ — فى الدنيا والآخرة

قال الجاحظ : روى أن أعرابيا اشتد عليه البرد فأصاب ناراً ، فدنا منها ليصطلى بها وهو يقول : اللهم ، لا تحرمنيها فى الدنيا ولا فى الآخرة

١٢٢ — الجديد والقديم

أبو بكر محمد بن نصر الأوسى :

وان كان عندى للجديد لذاذة ... فلست بناس حرمة لقديم

١٢٣ — اذا استحكمت المودة بطلت التكاليف

قال عبد العزيز بن الفضل : خرج القاضى أبو العباس احمد بن عمر بن سريج وأبو بكر محمد بن داود الظاهرى وأبو عبد الله نفطويه (١) إلى وليمة دعوا لها ، فأفضى بهم الطريق الى مكان ضيق ، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه ، فقال ابن سريج : ضيق الطريق يورث سوء الأدب

وقال ابن داود : لكنه يعرف مقادير الرجال ...

فقال نفطويه : اذا استحكمت المودة بطلت التكاليف

١٢٤ — غزل الصداقة

فى (المقابسات) قال الحسن بن وهب : غزل الصداقة أرق من غزل العلاقة (٢) ،

وهذه نفثة فاضل قد أحس كمال الصداقة

١٢٥ — اسم أبو العتاهية

تكلم بعض القصاص قال : فى السماء ملك يقول كل يوم : لدوا للموت وابنوا للخراب .

فقال بعض الأذكياء : اسم ذلك الملك أبو العتاهية ...

١٢٦ — الشاكر والصابر فى الجنة

نظرت امرأة عمران بن حطان يوماً فى المرآة وكانت من أجمل النساء ـ فأعجبها حسنها ، ونظرت إلى عمران ـ وكان قبيحاً

(١) بكسر النون وفتحها والكسر أفصح : لقب لدمامته وأدمته تشبيهاً بالنفط

(٢) العلاقة : الهوى والحب اللازم للقلب ، بفتح العين كما فى (اللسان والنهاية) وبالكسر أيضاً كما فى (القاموس) . وقد أنكر الاصمعى هذا كما فى (التاج)

فقالت: ابا شهاب، تعال فانظر فى المرآة! فجاء فنظر إلى نفسه وهو إلى جانبها كأنه قنفذ. ورأى وجهاً قبيحاً، فقال: هذا أردت؟!

فقالت: إنى لأرجو أن أدخل الجنة أنا وأنت

قال: بم؟

قالت: لأنك رُزقتَ مثلى فشكرت، ورُزقتُ مثلك فصبرت. والشاكر والصابر فى الجنة ...

١٢٧ — فلا

فى (العمدة) لابن رشيق: قيل لابى السائب المخزومى: أترى أحدا لا يشتهى النسيب؟

فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ...

١٢٨ — لاحكم الا للملاح

أبو القاسم المرتضى:

بينى وبين عواذلى فى الحب أطراف الرماح [١]

أنا خارجى فى الهوى لا حكم إلا للملاح

١٢٩ — ماء الملام، جناح الذل

قال أبو تمام فى قصيدة:

لا تسقنى ماء الملام فاننى صب قد استعذبت ماء بكائى

فبعث مخلد الموصلى اليه بقارورة يسأله أن يبعث [٢] له فيها قليلا من ماء الملام [٣]، فقال لصاحبه: قل له يبعث الى بريشة من جناح الذل لأستخرج بها من القارورة ما أبعث اليه

قال ابن أبى الحديد: هذا ظلم من أبى تمام لمخلد، وما الأمران سواء لان الطائر إذا أعيا وتعب ذل، وخفض جناحه، وكذلك الانسان إذا استسلم ألقى بيديه ذلا، ويده جناحه، فذاك هو الذى حسَّن (واخفض لهما جناح الذل) ألا ترى لو أنه قال: واخفض لهما ساق الذل أو بطن الذل لم يكن مستحسنا

(١) العواذل: قالوا: وقاما مذكر من يعقل فلم يجمع على فواعل الافوارس وهوالك ونواكس فأما فوارس فلأنه شىء لايكون فى المؤنث ... فلم يخف فيه اللبس. وأما هوالك فانه جاء فى المثل: هالك فى الهوالك فجرى على الاصل لأنه قد يجىء فى الامثال مالايجىء فى غيرها، وأما نواكس فقد جاءت فى ضرورة الشعر. قلت: ثلاثة رابعهم العواذل ...

(٢) فى كتب الادب والعلم وبعض كتب اللغة: بعث الشىء وبالشىء دون التفات إلى ما يبعث به وحده أو مع غيره، وإلى ما ينبعث بنفسه أو لا ينبعث بنفسه وللغويين المتقدمين كلام طويل فى هذا الفعل. وقد ردد أدباء فى هذا الزمان بعض ما قيل من قبل.

(٣) الآمدى فى (الموازنة) لم يعب قول أبى تمام وقد قال: «لما كان مجرى العادة أن يقول قائل أغلظت لفلان القول، وجرعته منه كأسا مرة، وسقيته منه أمر من العلقم وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة».

١٣٠ — ولع الشعراء ببعض الالفاظ

فى (سر الفصاحة) للخفاجى:

قلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب من استعمال ألفاظ يديرها فى شعره. وقد كان أبو الحسن مهيار ابن مرزويه ممن غرِى [١] بلفظ (طين وطينة) فما وجدت له قصيدة تخلو من ذلك إلا اليسير.

وقال أبو الفتح بن جنى: قلت لأبى الطيب المتنى: إنك تكرر فى شعرك (ذا وذى) كثيرا، ففكر ساعة ثم قال: ان هذا الشعر لم يعمل كله فى وقت واحد. فقلت: صدقت إلا أن المادة واحدة، فأمسك

١٣١ — القاضى بسعادتك

قال أبو اليمن زيد الكندى: كنا نلقب [٢] أبا المكارم محمد بن الملك بن أبى جرادة (القاضى بسعادتك) وذلك أن القلانسى دعاه فى وليمة ـ وكنت حاضرها ـ فجعل لا يسأله عن شىء فيخبر عنه بما سر أو أساء إلا قال فى عقبه (بسعادتك) فان قال له: ما فعل فلان؟ قال: مات بسعادتك. وإن قال له: ما خبر الدار الفلانية؟ يقول: خربت بسعادتك. فسميناه (القاضى بسعادتك) وكان يقولها لاعتياده إياها لالجهل كان فيه، وكان له أدب وفضل وفقه وشعر جيد

١٣٢ — وبأحسنت لا يباع دقيق

حضر جحظة مجلس بعض الكبار مراراً، وكان اذا غنى يقول له: أحسنت، ولم يكن يخوّله شيئا، فقال فيه:

ان تغنيت قال: أحسنت! زدنى وبـ(أحسنت) لا يباع دقيق

(١) غري بالشىء أولع به من حيث لا يحمله عليه حامل وغرى بالضم مشدد لا كما أورده (أقرب الموارد) مبنيا للمجهول مخففا.

(٢) فى كتب الادب لقبته كذا وبكذا وفي كتب اللغة لقبته بكذا. وقد خطأ صاحب (تذكرة الكاتب) الأول إذ لم يره كما يظهر وهو فى كلام الأدباء منذ ألف سنة.

١٣٣ — فلهذا يرقص الحبب

قال ابن خلكان : من معانى الأبيوردى البديعة قوله من جملة أبيات فى وصف الخمرة :

ولها من ذاتها طرب فلهذا يرقص الحبب

١٣٤ — أنت الحسن اذن

قال ابو نواس : استقبلتنى امرأة فسفرت عن وجهها ، فكانت على غاية الحسن ، فقالت : ما اسمك؟

قلت : وجهك

قالت : أنت الحسن اذن !

١٣٥ — يتيم

قال ابن خالويه فى كتاب (ليس) : أنشدنى أعرابى :

ثلاثة أحباب : فحب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل (١)

فقلت له : زدنى

فقال : البيت يتيم (٢) .

١٣٦ — فر زيتون من الجبن

فى (الغيث المنسجم) للصفدى : كتب القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر لما التقى (الملك الظاهر) مع (زيتون الفرنجى) قريبا من عكا ، وهرب زيتون ، وأسر غالب من كان معه من الفرنج ، فجاء فى جملة الكتاب : « وفر زيتون من الجبن » قيل ان الملك الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه

١٣٧ — أينما كانت انتفعنا بها

فى كتاب (قضاة قرطبة) لمحمد بن الحارث الخشنى :

قال محمد بن فرج الفقيه : ما رأيت أعقل من زياد بن عبد الله (الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة) قلت له يوما : يزعم هؤلاء المعدلون (٣) أن هذه الشمس ، مقرها السماء الرابعة . فقال : (أينما كانت انتفعنا بها) ولم يزدنى على ذلك ، فعجبت من عقله

(١) الأحباب من جموع الحب بالكسر أى المحبوب والأنثى حبة (التملق) مصدر كالتملق .

(٢) يتيم : فرد .

(٣) المعدلون : العدول الذين يزكون الشهود .

نفثة محزون

للأستاذ ابراهيم عبد الوهاب

فى ميعة الصبا ونضرته ، وفى ربيع الحياة وزهوه ، اختطف الموت ابنى ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، ففاض صدرى بهذه الكلمة تفجعا عليه ورثاء له

عافَ الحياة ومَلَّ من أَوْصابها لما أَلَحَّ الداء فى أسبابها
بَكَرَتْ إليه يد المنونِ ولم يكد يُوفِى من الدنيا على أبوابها
ورمت مَنيته إليه شباكها وعَدَتْ عليه بظفرها وبنابها
وطوت صحيفتَهُ ولما يَكتَمِلْ عنوانُ قصتها وبَدْءُ كتابها
فمضى كأزهارِ الربيع قصيرةً أيامُها وفريدةً في بابها

***

أبنى أىُّ فجيعةٍ غدَّارةٍ دَهْياء قد نزلت بفصلِ خطابها
رمت القلوب فأقْصَدَتْ حباتها ومحَتْ جميل الصبر فى أعقابها
وأسالت الدمع الأبِيَّ كأنه غيثُ السماء هَمَى وهطْلُ سحابها
لهفى عليك وأنت نِضْوٌ خائر تشكو من الحمى ومن أذنابها
وتبيت مضطرباً كأنك فى لظى قلقاً توجَّعُ من أليم عذابها
حلت بجسمك لاتريد فراقه فكأنما ألفَتْكَ من أحبابها
ورمت يديك برعدة مشئومة أيقنْتُ أن الموت ينذرنا بها
الجسم مرتعها ولحمك طُعْمُها وعصير قلبك من لذيذ شرابها
سهرتك لم ترحم صباك ولم تَهِنْ حتى مضت بالروح فى أسلابها

***

وقف الطبيب إلى سريرك مطرقا حَيْرانَ مُغتمًّا لدائك آبها
ودعا صحابتَه إليك فلم يجد رأياً جديداً أو مشيراً نابها
وأهاب بالطب العتيد فخانه وأراد معجزة فما أوفَى بها

الطب إن شاء الإله وسيلة   تشفى من الحمى ومن أترابها
أو لم يشأ تلقاه شر رسالة   للموت يُزجيها إلى أربابها
قل للمؤمل فى الطبيب وطبه   إن الحياة رهينة بكتابها
لا الطب يصنعها ولا أقطابه   الله قدرها ليوم مآبها
هى صنعة المولى تملّكَ سرَّها   وأجادها ووَعى دقيق حسابها

***

أبُنىَّ أزمعتَ النوى وتركتنى   أشتفُّ من كدر الحياة وصابها
أذكيت نار الحزن تلتهم الحشا   وتذيب قلبى من سعير لهابها
تلك الدموع الحائرات بمقلتى   هى مهجتى تنساب من أهدابها
أفلا رَحمتَ أباك من أدوائه   حتى أضفت لها الفراق مشابهاً
ورَحمتَ أمك من لواعج ثكلها   وغزير عبرتها وسود ثيابها
تبكى وتندب حظها وعِثارَهُ   ورَبيبَ مهجتها وصِنوَ شبابها
وتود لو أنَّ الدموع شرابُها   أو أن ماء البحر من تسكابها
وتطوف حول القبر تلتمس الهدى   فكأنما أوفتْ على محرابها
حَيْرَى مُحَسَّرةً تمثل حزنها   فتكاد تلمسه على جلبابها
الخطب أرهقها وحطَّمَ عودها   ولرُبَّ عاقلةٍ مضى بصوابها

***

قد كنت وَثّابَ الذكاء محبَّبًا   وبرئت من طبعِ الخصال وعابها
قد كنت بهجة دارنا وسرورها   فغدت يفيض الحزن من أعتابها
قد كنت لى أملاً ألوذُ بنوره   فى لجة الدنيا وشق عبابها
غدت الحياة ثقيلة أيامها   ضَيِّقٌ على رَغمى فسيحُ رحابها
ما أضيع الآمال بعدك والمنى   هى خُدْعَةُ الدنيا وكِذْبُ سَرابها

***

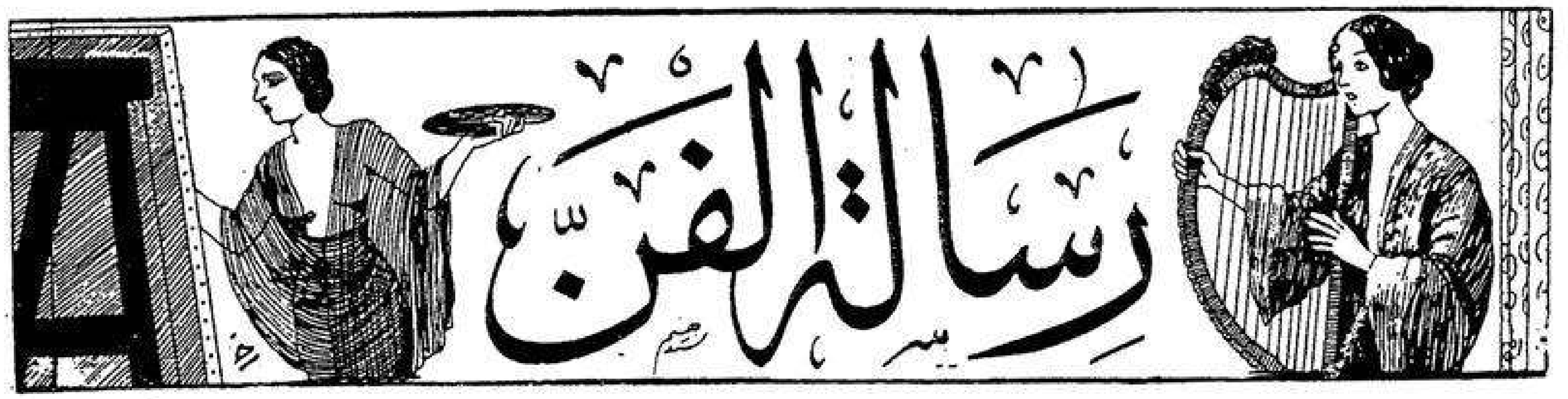
حشدت لى الأيام حرَّ نِصالها   ومضت تجِدُّ بحدها وذُبابها
وتتابعت نُوَبُ الزمان ـ كأنما   ألِفتنىَ الأحداثُ فى إغبابها
وأصاب هذا الدهر خير أحِبَّةٍ   سلكتْهمُ العلياءُ فى أنسابها
كانوا ملاذ الفضل مُعتصمَ الحجا   وبشاشة الدنيا وزَهْوَ خِضابها
قد كنت أمرح بينهم فى روضة   والآن صرت لوحدتى ويَبابها

***

أبنى إن عظمت بفقدك نكبتى   فرَجائىَ المولى عظيمٌ ثوابها
ناداك ربك فاستجبت نداءه   وصدَفتَ عن دنيا الورى وكذابها
نم فى جوار الله غير مُرَوَّعٍ   وانعم بجنته ورحب جنابها
وَارْتعْ هنا لك بين رَيِّق مائها   وبهيج سُنْدُسِها وفى أعنابها
وارْجُ الإله لوالديك تصبُّراً   ينسيهما البلوى وَوَقْعَ مُصابها
إن الذى خلق المكاره والأسى   هو بارئ الرحماتِ يُسْعِدُنا بها

ابراهيم عبد الوهاب

المدرس بمدرسة المنيرة الابتدائية الأميرية



ميكيلانجلو

العبقرية الملهمة

MICHELANGELO

للدكتور احمد موسى

— ٤ —

تكاد تكون شخصية ميكيلانجلو من أعقد الشخصيات؛ ذلك لتعدد نواحي دراسته وتحديد مواهبه الفنية فإذا استعرضت تاريخ حياته فى مختلف المصادر ، وجدت أن كل مؤرخ فنى تفرغ لتناوله من ناحية معينة ، بغية الوصول إلى تعريف محدود له ، ينتهى بوضع أساس يتفق وعظمته .

وقد قرأنا عنه الكثير ، وشاهدنا من إنتاجه وآثاره ما فيه الكفاية ، ووجدنا بعض مؤرخى الفن يدرسه كمهندس معمارى ، وآخر يحلله كنحات ، وثالث كنقاش ، ورابع كمصور ، وخامس كشاعر ، وسادس كعاشق دفع به الهوى إلى تلحين ملحمات غزلية ألفها فى ساعات إلهامه .

وقد أخذنا على عاتقنا دراسة ميكيلانجلو دراسة فنية مبسطة ولكنها شاملة ، وتناولناه بالبحث كنحات عظيم . ولكننا لانكون قد أدينا رسالة الفن تمام التأدية إذا لم ندرسه كمصور أيضاً ، حتى تتم بذلك معرفتنا له من ناحيتيه البارزتين وهما النحت والتصوير ؛ ولا سيما وهو لم يكن ليقل عظمة فى الأخير عن الأول ، بل إنه قد استطاع إظهار أدق وأعمق مشاعره النفسية ، وأفكاره الملهمة فى التصوير الذى أخرجه على أعظم جانب من الإجادة وحسن الانسجام .

وإذا كنا قد علمنا أنه ترك بعض منحوتاته دون إكمال ، فإنه يهمنا أن نعلم أنه لم يترك من مصوراته إلا ما ندر غير كامل ، ومن هنا نستطيع أن ندرسه دراسة وافية كمصور ، ونصل بها إلى الأعماق التى لم نستطع الوصول إليها فى النحت الذى قررنا أن اتجاهه فيه كان مثلياً كما كان كذلك فى التصوير ، وهى ظاهرة طبيعية يحتمها التناسق فى الإنتاج الفنى والخلق المبتكر .

وإذا كان ميكيلانجلو قد ظهر أمامنا بعد استعراض منحوتاته ، دائم الطموح نحو الكمال الانسانى ، ساعياً وراء المثل العليا فى التكوين الانسانى والموضوعى ، مهتما تمام الاهتمام باختيار المواقف العنيفة التى خرج بها عن المألوف من ناحية الانشاء الوضعى والتى من مقتضاها أن ظهرت تفاصيل الجسم على أقوى ما يمكن ظهورها به ؛ فإن هذا نفسه كان الاتجاه الذى سار فيه والهدف الذى رمى اليه فى التصوير الذى لم يجمع فيه بين المناظر الشخصية مفردة كانت أو مجتمعة وبين الطبيعة إلا فيما ندر ، مخالفاً فى ذلك ما رأيناه عند ليوناردو دافينشى (راجع المقالين الخاصين به)

ويشعر المشاهد لمصوراته عموماً كأنه واقف يستعرض تماثيل مجسمة لا صور أو لوحات مسطحة ، ومن هذا نستطيع أن نكون لفنه التصويرى طابعاً مميزاً وروحاً خاصاً ، وهو أنه كان مصوراً نحاتياً أكثر منه مصوراً بحتاً ، إذ أن كل مصوراته تمت بصلة كبيرة إلى قواعد النحت ، أكثر من انتمائها إلى قواعد التصوير .

على أن مصوراته هذه لم تكن مرسومة بالزيت كما يعتقد كثير من الناس ، بل كانت تصويراً على الجص الطازج . وهذه الطريقة التى تتلخص فى التصوير بألوان الماء على طبقة رقيقة من الجص أو الجير قبل جفافه هى التى يعبر عنها رجال الفن بتصوير الفرسكو « Al Fresco »

وقد صور بعض مصوراته بطريقة أخرى . وذلك أنه أخذ الألوان الطبيعية من الأرض « Tempera » وأضافها إلى محلول الغراء والعسل ، وعند ما أراد التصوير بها أضاف اليها الغراء الكثيف أو بياض البيض واستعملها بعد ذلك مباشرة

ولعلنا بدرسه على ضوء أبسط أصول تاريخ الفن نضطر إلى تقسيم تراثه إلى ثلاث مراحل تستغرق كل مرحلة منها حوالى الثلاثين سنة ، على اعتبار انه عاش حوالى التسعين

وتنحصر المرحلة الأولى بين سنة ١٤٧٥ ، ١٥٠٥ وهى التى قضى معظمها كنحات وقد سبق لنا درسها ، وله فيها ثلاث قطع لا تزال باقية ، أولاها صورته «دفن المسيح» وثانيتها «مادونا مانشيستر» وتشمل مريم ويسوع ويوحنا وملائكة أربعة والروح الغالبة على هذه اللوحة ظهور البساطة بأجلى معانيها مع عظمة التكوين الانسانى وهذه وسابقتها محفوظتان بجاليرى لندن غير كاملتين .

وقطعته الثالثة تمثل العائلة المقدسة ، وهى صورة مستديرة - ش ١ - محفوظة بمتحف أوفيسين بفلورنسا ، صورها سنة ١٥٠٤



(ش ١)

وتمثل مريم والطفل وخلفهما يوحنا ومجموعة أطفال فى مؤخر اللوحة .

أنظر إلى مريم وكيف أسندت الطفل بوضع أطراف يدها اليمنى تحت إبطه واسنادها له بيسراه . ثم تأمل الجمال البادى على ملامحها ، وحسن إخراج الملابس وثناياها ، إلى جانب جلستها الرائعة ، وظهور قدمها اليمنى بحالة فنية لا ترتفع إلى مثلها غير عبقرية ميكيلانجلو .



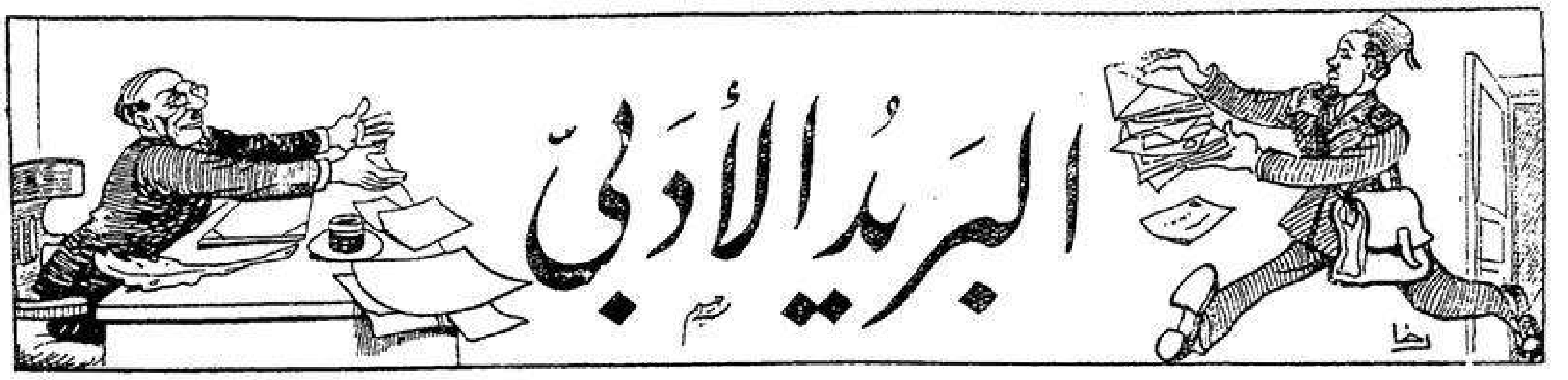
(ش ٢)

ثم شاهد ما ارتسم على وجه يوحنا من علامات الحب والاشفاق على الطفل يسوع ، ولاحظ شعر الرأس والذقن إلى جانب الحياة التى تشع من عينيه

ورسم الأطفال فى مؤخر الصورة أقوياء التفاصيل والتكوين الجسمانى وهذا من مميزاته الخاصة ، وميله إلى قواعد النحت أكثر من ميله إلى قواعد التصوير

وتعطيك النظرة الشاملة للمجموع الإنشائى للصورة فكرة هائلة عن جمال الوضع الأولى والتصميم الكلى للوجه . فالرؤوس الثلاثة تكاد تكون بارتفاع واحد . ومع هذا لم تخرج على أصول الانسجام فضلا عن بعدها عن الازدحام الذى يؤدى غالباً إلى ضعف التوجيه . هذا إلى هدوء الألوان وبعدها عن الحدة .

وله مصورات تخطيطية بين سنة ١٥٠١ ، ١٥٠٥ منها ما مثل دراسات لرؤوس بمشاهدتها تعطيك فكرة صادقة



كتاب عن التربية فى مصر

صدر أخيرا كتاب بالانكليزية عن مستقبل التربية فى مصر بقلم أستاذ انكليزى معروف فى دوائر التربية المصرية هو الدكتور جاكسون الاستاذ سابقا بمعهد التربية ، عنوانه : « التربية والعهد الجديد فى مصر Education and the New Era in Egypt » ؛ وقام باصداره معهد التربية ؛ ويقول الأستاذ جاكسون إن الذى حمله على تأليف هذا الكتاب هو الحاجة الماسة فى هذه المرحلة من تاريخ مصر الاجتماعى ، الى وضع سياسة حديثة للتربية تقوم على جهود موحدة نزيهة ومثل عملية . ويتناول الأستاذ فى كتابه ثلاث مسائل رئيسية هى : أولا ـ مهمة التربية فى مصر وفى رأيه أنها العمل على انشاء ثقافة مصرية . ثانيا ـ مسألة اعداد المعلمين . ثالثا ـ مسألة النظام

ويتناول الاستاذ جاكسون هذه المسائل تناول العارف المطلع ، ولا غرو فقد انفق أعواما يعمل فى أوساط التربية المصرية ، وهو يحاول فى بحوثه أن يوفق بين المقاصد العملية وبين المثل النظرية ، ويقدم اقتراحات عملية لبعض المسائل المستعجلة التى تواجهها مصر اليوم : فهو يرى مثلا أن التعليم الثانوى فى مصر نظرى محض ويقترح أن تدمج فيه بعض العناصر العملية ، وينوه بخطر التعليم السطحى ، ويرى أن تزاد البعثات العملية القصيرة إلى الخارج ؛ ثم هو يحذر ولاة الأمر من التقتير على المعلمين لأن المعلمين المغبونين الساخطين يغدون خطرا على المجتمع ، ويرى فى تعليم اللغة الانكليزية ألا يبدأ به إلا من السنة الثالثة الابتدائية بعد أن يكون التلاميذ قد حصلوا على قسط معقول من اللغة العربية

ويتحدث الاستاذ جاكسون طويلا عن مسألة النظام والطاعة ؛ وهو يرى أن استتباب النظام شرط جوهرى للتقدم ، ويرى ضرورة التشدد فى مسألة القوانين النظامية ؛ ثم يقول

عن مدى تأثره بليوناردو دافينشى

ولعل أبرز ما أنتجه فى هذه المرحلة أيضاً الصور الكارتونية للتصوير الجصى (الفرسكو) الذى لم يتم عمله والذى كان مخصصاً لبيت البلدية فى فلورنسا ، وهذه تخالف فى روحها وتكوينها لوحاته التى أظهرت تأثره بليوناردو وهى تمثل مذبحة كاشينا « Cascina » التى انتصر فيها الفلورنسيون على محاربيهم من بيزا فى ٢٧ يوليو سنة ١٣٦٤

وقد مثل فى هذه اللوحة جمهرة من الفلورنسيين يستحمون وأعداؤهم من بيزا يفاجئونهم ، وهى رائعة الانشاء قوية الإخراج مليئة بالحركة والرشاقة

وله أيضاً فى هذه المرحلة (١٥٠٥) كارتونات مصورة لم يبق منها للأسف إلا اثنتان ، الأولى لأجوستينو فيسيانو والثانية تمثل منظر « الصاعدين » ـ ش ٢ ـ ، وهى بالنظر إليها تبين رجلا عجوزاً جلس على مرتفع من الأرض يشير بيمناه إلى الهدف الذى يريد الوصول إليه ، وأمامه ولداه وقد مد الأول منهما يسراه إلى رابع لم تظهر منه إلا أطراف أصابعه الأربعة ، والطريقة التى انحنى بها الولد للأخذ بيد زميله من أطراف أصابعه هى من أقوى ما يستطيع فنان اختياره

أنظر إلى اليد اليمنى وكيف استندت إلى حافة المرتفع ، ثم تأمل الحرص البادى على يده اليسرى الممدودة لمساعدة زميله

وإذا تأملت ما تخلل الأحجار من نباتات ظهرت نهاياتها ونظرت إلى الأشجار وما غلب عليها من ظل ونور ، وشاهدت الكيفية التى عالج بها أوراق الشجر إلى جانب المرتفعات البعيدة فى مؤخر الصورة ، تر أن ميكيلانجلو كان عنيفاً ولكنه العنف الذى أدى إلى الخلود الفنى .

احمد موسى

إنه مادامت الصبية فى وسعهم أن يقلبوا قرارات معلميهم إلى عكسها سواء بالشكوى إلى ذويهم او بالاعتصاب والصخب ، فانه يستحيل عليهم ان يتعلموا احترام السلطة المدرسية التى هى جوهرية بالنسبة للتعليم والعلم . إن الاعتصاب من انواع العنف فيجب محاربته وقمعه بالحزم من جانب السلطات وبتنمية الروح الاجتماعي فى المدارس وهو روح يكاد يكون مفقوداً .

ولا شك أن مسألة التربية وتوجيهها من أهم المسائل التى يجب ان تعنى بها مصر المستقلة ؛ فمصر تحتاج الى خلق جيل جديد يتمتع بصفات جديدة تناسب العهد الجديد وتناسب مسئولياته ؛ ومن الأسف أن ولاة الأمر لم يوفقوا حتى اليوم إلى تناول هذه المسألة الخطيرة بما يجب من الاهتمام ، ولاريب أن كتاب الأستاذ جاكسون يحتوى كثيرا من الحقائق والملاحظات الجديرة بالدرس والاعتبار

حول عيد القاهرة الألفى

أذاعت الصحف أن وزارة التجارة والصناعة تنوى أن تنتهز فرصة سنوح العيد الألفى لمدينة القاهرة المعزية فتقيم معرضاً مصرياً عظيما تدعو الدول ولا سيما الدول الشرقية والاسلامية إلى شهوده والاشتراك فيه ؛ وهذه فكرة جليلة بلا ريب ؛ وقد سبق أن نوهت « الرسالة » فى أكثر من مقال رنان باهمية هذا العيد التاريخى ووجوب الاحتفاء به فى مظاهر عظيمة تتفق مع أهميته وجلاله ؛ على أن هذه الدعوة لم تلق إلى اليوم صداها المنشود ؛ وإذا كان مجلس التنظيم قرر بهذه المناسبة أن يطلق اسم الخليفة المعز واسم القائد جوهر على شارعين من شوارع القاهرة القديمة ، وإذا كانت وزارة التجارة تريد أن تتخذ هذه المناسبة لإقامة معرض دولى عظيم ، فان هذه الاجراءات والقرارات المتفرقة لا تكفى فى نظرنا للاحتفاء بهذا العيد ، بل يجب أن يكون الاهتمام به شاملا ، وان تؤلف لجنة حكومية عامة تمثل جميع الوزارات المصرية والهيئات العامة ، لتضع برنامجاً شاملا لهذا الاحتفال التاريخى الجليل ، تندمج فيه هذه الاجراءات الجزئية التى ترى الجهات المختلفة اتخاذها ؛ ومن المحقق أن عيد القاهرة الألفى هو من أعظم الأعياد القومية ، فيجب أن يتخذ برنامج الاحتفال به هذا اللون ، وعلى أى حال فما يدعو إلى الغبطة أن تبدأ السلطات بالتحرك للتفكير فى إحياء هذا العيد بعد أن طال صمتها ، وبعد أن لم يبق على وقوعه سوى زمن قليل

الشيخ منصور المنوفى لم يكن شيخاً للأزهر

قرأت ما كتبه الأستاذ الجليل محمد عبد الله عنان فى عدد الرسالة الغراء (٢٠٨) تحت هذا العنوان ـ مصر فى خاتمة القرن السابع عشر كما رآها العلامة عبد الغنى النابلسى ـ فرابنى منه قوله « ثم يحدثنا الرحالة عن الجامع الأزهر وعن شيخه وهو يومئذ الشيخ منصور الشافعى الضرير » وحدثتنى نفسى أن هذا الاسم لم يمر عليها فى شيوخ الأزهر ، فأخذت على عادتى أرجع إلى مصادرى التى قرأتها لأحقق هذا الأمر الذى استربت فيه ، وأدركنى الشك فى صحته

فرجعت إلى الخطط التوفيقية وإلى تاريخ الأزهر فوجدتهما متفقين على ان الذى كان شيخاً للأزهر فى تلك السنة التى رحل فيها الشيخ عبد الغنى النابلسى إلى مصر ، وهى سنة ١١٠٥ هـ ـ ١٦٩٣ م ـ هو الشيخ محمد النشرتى المالكى ، وقد كان شيخاً للأزهر من وفاة الشيخ ابى عبد الله محمد بن عبد الله الخرشى سنة ١١٠١ هـ إلى ان توفى سنة ١١٢٠ هـ

وقد ذكر الجبرتى وفاة الشيخ الخرشى فى سنة ١١٠١ هـ وقال عنه إنه الامام العلامة والحبر الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم سيد المرسلين الشيخ محمد الخرشى المالكى شارح خليل وغيره ، ويروى عن والده الشيخ عبد الله الخرشى وعن العلامة الشيخ إبراهيم اللقانى ، كلاهما عن الشيخ سالم السنهورى المالكى ، عن النجم الغيطى عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى، عن الحافظ ابن حجر العسقلانى بسنده إلى الامام البخارى

ثم ذكر وفاة الشيخ محمد النشرتى فى سنة ١١٢٠ هـ وقال عنه إنه الامام العالم العلامة الشيخ محمد النشرتى المالكى ، وهو كان وصياً على المرحوم الشيخ الوالد بعد موت الجد ، توفى يوم الأحد بعد الظهر ، وأخر دفنه إلى صبيحة يوم الاثنين ، وصلى عليه بالازهر بمشهد حافل ، وحضر جنازته الصناجق والأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً

أما الشيخ منصور المنوفى فقد ذكر الجبرتى وفاته فى سنة ١١٣٥ هـ وكان قد جاوز تسعين سنة ، وقال عنه إنه الشيخ

العلامة الفقيه المحدث الشيخ منصور بن علي بن زين العابدين المنوفى البصير [1] (لا الضرير) الشافعى ، ولد بمنوف ونشأ بها يتيما فى حجر والدته ، وكان باراً بها ، فكانت تدعو له بحفظ القرآن وعدة متون ، ثم ارتحل إلى القاهرة وجاور بالأزهر وتفقه بالشهابين البشبيشى والسندوبى ، والشمس الشرنبابلى والزين منصور الطوخى ، ولازم النور الشبراملسى فى العلوم وأخذ عنه الحديث ، وجد واجتهد وتفنن وبرع فى العلوم العقلية والنقلية ، وكان إليه المنتهى فى الحذق والذكاء وقوة الاستحضار لدقائق العلوم ، سريع الادراك لعويصات المسائل على وجه الحق ، نظم الموجهات وشرحها ، وانتفع به الفضلاء ، وتخرج به النبلاء وافتخر بالأخذ عنه الأبناء على الآباء .

وقد رايت بعد هذا أن أرجع إلى المصدر الذى نقل عنه الأستاذ عنان ، فذهبت إلى دار الكتب وطلبت رحلة الشيخ النابلسى « الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز » فوجدته قد ذكر فى صفحة (٢٠٢) أنه طلع عليه صباح يوم الأحد ٢٨ من شهر ربيع الثانى فحضر عنده الامام العالم الهمام الشيخ منصور المنوفى الأزهرى الشافعى الضرير شيخ الأزهر ومعه الجماعة والطلبة وكثير من المجاورين بالجامع الأزهر ، وحصل بعض أبحاث وفوائد علمية

ثم ذكر فى صفحة (٢٠٤) أنه أصبح صباح يوم الاثنين ٢٩ من شهر ربيع الثانى ، فجلس على عادته يستقبل من يأتى إليه من الأصحاب والاخوان ، ثم قام من مجلسه إلى مجلس الشيخ زين العابدين بدعوة منه ، فرأى عنده صديقه فخر العلماء الأعلام الشيخ أحمد المرحومى شيخ الأزهر ، ومعه بعض أصحابه الكرام ، فجلس يتذاكر معهم فى مسائل العلوم ويتطارح الكلام من منطق ومفهوم

ثم ذكر فى صفحة (٢٧٥) أنه أصبح يوم الجمعة ١٠ من جمادى الثانى فاجتمع بالشيخ الامام العلامة منصور المنوفى الشافعى الضرير شيخ الأزهر

ثم ذكر فى صفحة (٢٨٤) أنه أصبح يوم السبت ٢٥ من جمادى الثانى فذهب بعد الظهر إلى عيادة صديقه العلامة الشيخ أحمد المرحومى شيخ الجامع الازهر

وهذه هى المواضع التى جاء فيها ذكر هذين الشيخين المتعاصرين فى كتاب الشيخ النابلسى ، وهو يعطيهما فيها صفة شيخ الأزهر فى الزمن الذى قضاه بمصر فى رحلته إلى الحجاز وكان ذلك فى سنة ١١٠٥ هـ كما سبق ، فلو أخذنا هذا الكلام على ظاهره لكان للأزهر فى تلك السنة شيخان مجتمعان معاً وهذا غير مقبول ، مع مخالفته لما ذكرناه من أن شيخ الأزهر فى تلك السنة كان الشيخ النشرتى المالكى ، فلم يبق إلا أن الشيخ النابلسى تبرع بتلك الصفة لذينك الشيخين ، ويجب أن تؤخذ على هذا لا على أنها حقيقة تاريخية

وقد ذكر الجبرتى وفاة الشيخ أحمد المرحومى فى سنة ١١٢ وقال عنه إنه السيد عبد الله (لعله أبو عبد الله) الامام العلامة الشيخ أحمد المرحومى الشافعى

وهذا رأيى فى تحقيق هذه المسألة التاريخية أنشره على صفحات الرسالة الغراء ، ولعله يكون للاستاذ عنان رأى آخر فى تحقيقها ينشره علينا فيها ، والله يتولانا جميعا بتوفيقه

عبد المتعال الصعيدى

بين الجامعات الألمانية والانكليزية

احتفلت جامعة جتنجن الالمانية خلال هذا الاسبوع بمرور مائتى عام على قيامها ؛ وكان المظنون أن يكون هذا الاحتفال بالغاً فى أهميته وعظمته ، لما لهذه الجامعة القديمة العريقة من ماض على جليل ، ولما لها بالأخص من علاقات وثيقة بالثقافتين الانكليزية والامريكية اذ كانت دائما مقصد الشباب من الأمتين ، ولكن حدث مالم يتوقعه أحد ، وهو أن الجامعات الانكليزية والامريكية اعتذرت جميعاً عن شهود هذا الاحتفال الذى دعيت جميعاً إليه ، ولم تذكر الجامعات المعتذرة أسباب هذه المقاطعة العلمية ، ولكن بعض الصحف الانكليزية والامريكية تحدثت عنه ، وهى جميعا ترجع الأسباب الى خضوع الجامعات الالمانية فى مناهجها العلمية والثقافية لسياسة الحكومة النازية خضوعا يضر بالمثل العلمية والثقافية العليا وينافى أسمى المزايا العلمية وهى حرية البحث وتوجيهه إلى الحقيقة وحدها ؛ ولم ترض الجامعات الانجليزية والامريكية أن تشترك فى احتفال جامعة جتنجن حتى لا يقال أنها تعترف

(١) البصير هنا معناها الضرير (الرسالة)

بوحدة المثل الثقافية والتعليمية بين الدول الديمقراطية التي تمثلها وبين الوطنية الاشتراكية الألمانية .

والواقع أن حال الجامعة الألمانية قد ساء في العهد الأخير وانحط مستوى التعليم العالي وأقفر كثير من الجامعات من الاساتذة والطلبة ، مثال ذلك أن جامعة جتنجن فقدت من أساتذتها النصف فأصبحوا خمسة وأربعين بعد أن كانوا تسعين ، وأبعد البعض لأسباب عنصرية والبعض لأسباب سياسية . ونقص عدد طلبة الجامعة من ٤٢٠٠ في سنة ١٩٣٣ الى ١٨٠٠ طالب فقط هـذا العام ، وهجرها معظم الطلبة الأجانب ، وأصيبت سمعتها العلمية والثقافية

وقد حذت الجامعات السويسرية حذو الجامعات الانجليزية فاعتذرت عن الاشتراك في هذا الاحتفال لأسباب مماثلة ، ولكن الجامعة المصرية قد قبلت الدعوة واشتركت في الاحتفال على يد مديرها .

انكلترا وطريق الهند

صدر أخيراً بالألمانية كتاب سياسي عسكري خطير عنوانه « طريق انكلترا إلى الهند » England's Weg nach Indien بقلم الهر كارل بارتس K. Bartz وفيه يشرح المؤلف بأسلوب تاريخي سياسي قصة الصراع بين السياستين البريطانية والفرنسية لامتلاك الهند في القرن الثامن عشر ، وكيف أن انكلترا استطاعت أخيراً أن تظفر بالهند دون معارك عسكرية كبيرة ، لأن الهند كانت عندئذ ممزقة الأوصال مفرقة الكلمة ، فاستطاعت السياسة الانكليزية أن تضرب الطوائف والممالك الهندية بعضها ببعض .

ويقول الكاتب إن انكلترا من ذلك التاريخ تحمي امبراطوريتها الهندية بجميع الوسائل والقوى ، وتحمي الطريق إلى الهند من جبل طارق ومالطه ومصر وعدن والجزيرة والدردنيل ؛ ثم يحلل جميع العوامل السياسية والعسكرية التي ترتبط بهذه المسالة ؛ ويستعرض شعوب الهند وآسيا ومهادها الصوفية الغريبة ، كما يستعرض حياة الرجال الذين تدين لهم بريطانيا بامتلاك الهند .

ويلاحظ الكاتب أن انكلترا لا تطيق ظهور أية دولة عظيمة على مقربة من طريق الهند ؛ ومع ذلك فقد استطاعت إيطاليا أخيراً أن تفتح الحبشة وأن تربض في منتصف هذا الطريق ؛ ومن المحقق أن انكلترا لقيت في المسألة الحبشية هزيمة فادحة . بيد أن انكلترا لزمت الصمت ، وسارت في برنامج تسليحها ، وسوف يبين لنا المستقبل ما إذا كان في استطاعة السلاح الجوى أن يحافظ على طريق الهند ، وهو إلى اليوم لم يجرب تجريباً كافياً .

وفاة العلامة أدولف ايرمان

نعت أنباء برلين الأخيرة العلامة الأثري أدولف ايرمان وهو من أكبر الاخصائيين في علم الآثار المصرية ؛ وكان مولده في سنة ١٨٥٤ ودرس التاريخ والفلسفة ، ثم تخصص في الحضارات القديمة ، وبالأخص في حضارة مصر الفرعونية ولبث أعواماً طويلة أستاذاً لحضارة مصر القديمة بجامعة برلين ، ثم عين بعد ذلك مديراً لقسم الآثار المصرية بمتحف برلين ، فعكف على دراسة النقوش القديمة وأوراق البردي التي يغص بها هذا القسم ، وأخرج عدة كتب ورسائل في حضارة مصر الفرعونية وفي آثارها وفنونها

وزار الأستاذ ايرمان مصر مرتين ؛ بيد أنه درس الآثار المصرية في متاحف أوربا دراسة مستفيضة ؛ وكان يعتبر حجة فيها ؛ وكان إلى جانب زميله الدكتور أبشر العلامة الاخصائي في حل الرموز والنقوش الفرعونية أعظم أستاذين في تلك المدرسة الأثرية التي ما زالت منذ نحو نصف قرن تعمل للكشف عن حقائق أعظم وأقدم حضارات العالم

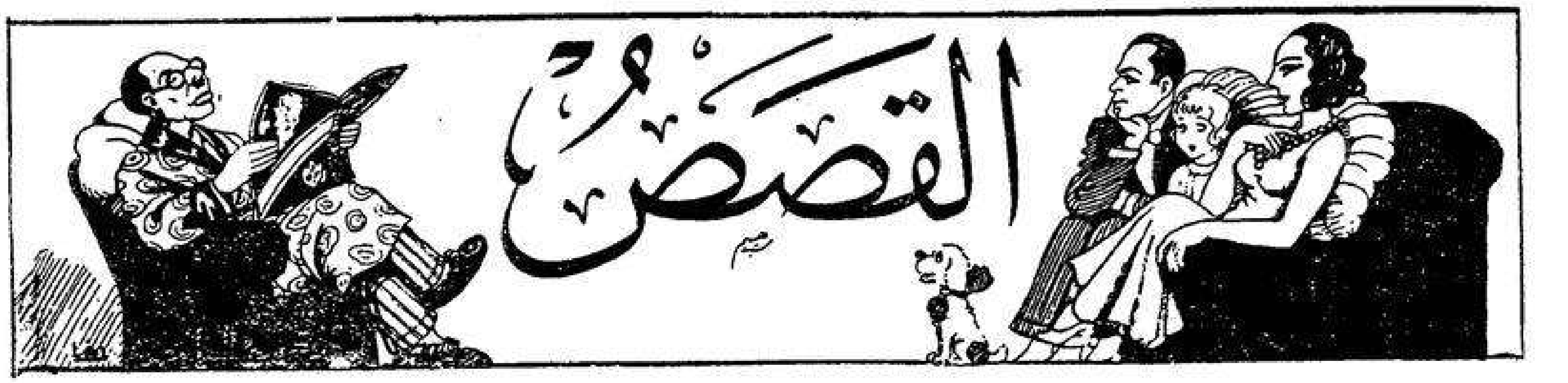
الحركة التمثيلية في مصر حديث لرئيس فرقة «دبلن جيت»

نشرت جريدة « ايرش تيمس » حديثاً طويلا للمستر هلتون أدوارادس مدير فرقة « دبلن جيت » التي قدمت إلى مصر في الشتاء الماضي ؛ ومما قاله أن الشعب في مصر على اتصال دائم بالقارة الاوربية فلديهم إلمام بالقصص التمثيلية الاوربية أوسع من إلمام الشعب الانجليزي بها

قال : وقد زرنا مصر عامين متواليين فمن سوء السياسة الاستمرار على الذهاب إلى هناك . وسيكون في العام القادم دور إحدى الشركات الفرنسية

وتقول الجريدة إن المستر إدوارس درس المسرح المصري

(البقية في ذيل الصفحة التالية)



أغنية الدير

للكاتب الأنجليزي وليام كاتتون

ترجمة الأستاذ كامل محمود حبيب

هبط جون أوف فولد إلى هيثهولم - لأول مرة - رئيساً للدير هناك وفي صحبته شتى المؤلفات النادرة الأنيقة في الفلسفة والدين والأدب، مغلفة في جلد ثمين موشى بالذهب والفضة ثم الملابس الغالية الطريفة من الحرير والمخمل؛ وعباءات من الكتان الجميل، دقيقة الصنع، وقلانس محلاة بالعسجد. أشياء تنبيء عن نعمة وترف...

وراح القس الجديد ينفث من روحه التواقة الصافية في جنبات الدير، فوضع في نوافذ الناحية الغربية التي يسكنها هو أصصا من البلور بها طاقات من شتى ألوان الزهور الناضرة. وزين حجرة سانت إيجون بالأصص المرصعة باليواقيت، فيها فنون وفنون من الزهر الصناعي؛ وفي سماء الحجرة طير من لجين تبدو كأنها محلقة في سماء الأرض تهفو نحو هذه الطاقات وتحوم حولها؛ ثم أمر فصففت المناضد والكراسي الخشبية الجميلة في حديقة الدير ليجلس عليها الموسيقيون كل صباح وكل مساء، يعزفون ويرتلون الأناشيد الدينية الشجية...

لقد كان الأب جون يفور نشاطا وقوة، في روحه الصفاء والجمال، وفي قلبه الإيمان واليقين؛ فأراد أن يبعث في الدير روح الجنة ليستروح هو وإخوانه من الرهبان نسمات الخلد في هذه الناحية النائية من الأرض...

وبذ هذا الدير غيره جمالا وروعة وبهاء.

***

وكان الأب توماس وكيل الرئيس يرى ما يفعله الأب جون وفي قلبه الاضطراب والأسى، وفي نفسه الغيظ والحنق؛ وكان يجلس إلى نفسه بين الحين والحين يحدثها: «حقاً، إن هذه الأشياء لا تغني الرب، وهي تبعث في العين السرور والبهجة،

دراسة عميقة. ومن رأيه أن الشركات التمثيلية المصرية ستبلغ أعلى مستوى وأن أهل الاسكندرية أقل اهتماما بالروايات التمثيلية من أهل القاهرة

قال: وقد شهدنا في أثناء مقامنا في مصر التمثيل في المسارح العربية ورأينا فيها حركة نشيطة جدا. وقد طلب إلينا أن نقبل عددا من الطلبة المصريين في دبلن ولكنهم ليسوا متضلعين في اللغة الانجليزية، فمتى جاؤا فستتاح لهم الفرصة لتعلمها ودراسة الطرق المسرحية في وقت واحد

تأبين الرافعي في طنطا

تألفت بطنطا لجنة من بعض المحامين والأطباء والعلماء وأعضاء مجلسي النواب والشيوخ ومن الأعيان والتجار لتأبين فقيد الأدب الكبير المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وسيعلن فيما بعد عن ميعاد الحفلة ومكانها

وقد قررت اللجنة ألا يتعدى التابين الموضوعات الآتية:

(١) الرافعي: تاريخه وحياة الوظيفة (٢) الرافعي الشاعر (٣) الرافعي الأديب (٤) الرافعي المؤلف (٥) فلسفة الرافعي

وترجو اللجنة حضرات الأدباء والشعراء ممن يرغبون في الاشتراك فيها بأعمالهم أن يخابروا سكرتيرها، ويتفضلوا بارسال خطبهم وأشعارهم إليه لعرضها على اللجنة وإقرارها

أمين حافظ شرف

طنطا — شارع الشيخة صباح القديم

وتدخل إلى القلب اللذة والطرب ، وتنفث فى الحياة المتعة والجمال ! ماذا تفيد هذه الكنوز الغالية ، والطرف الجميلة ، والآثار النادرة ؛ وهى تجذب القلب عن العبادة ، وتورث فى النفس حب الحياة وحب الاستمتاع ؟ ما للراهب ولهذه الأشياء وهو يريد وجه ربه مخلصاً له ؟ هذا بعض عبث الشيوخ وحرفهم حين يسيطرون على بيوت الله ، يجمعون شتى الطيبات ، وألوان الملذات ، فتلهيهم عن ذكر الله وعن الصلاة ؛ وعن أناس يبيتون فى العراء حفاة عراة ، ويتضورون جوعاً ، لايجدون مأوى ، ولايجدون كساء ولا طعاماً . ليت هذا الشيخ الغفل ينظر بعينى القس الورع إلى مايقاسيه الفقراء وذوو الحاجة فيخفف من غلوائه ، وينزع عنه بعض حماقاته ! ... »

وفى الحق لم يكن توماس ليستشعر فى نفسه الأسى والألم لما يقاسيه بعض الناس من فاقة وعوز ، ولم تكن فى قلبه الرحمة والشفقة ؛ ولكنه كان يحس ألم الحقد والحسد يتنزى فى صدره كلما وقعت عينه على ما انتثر هنا وهناك فى نواحى الدير منذ هبط الكاهن الأعظم جون

لقد كان توماس على غير ما كان عليه رفاقه : كان رجلا فيه الكآبة والعبوس ، فكان الرهبان والقسس يعبدون الله مخلصين وفى قلوبهم الطرب والسرور . وفى قلبه هو التجهم والحقد ؛ وفى أرواحهم اللذة والقناعة ، وفى روحه هو الجفاف والغلظة ؛ وفى أنفسهم الرضا والاطمئنان ، وفى نفسه التقلقل والاضطراب . ثم هم يرون فى أرض الله مسرحاً للعين والقلب والنفس جميعاً ، وهو فى منأى عنهم قد شغلته فكرة تضطرب فى رأسه

***

واعتاد الأب توماس أن يدلف إلى المعبد كل مساء وفى يده مصباحه ، وقد أرخى الليل أستاره ، ونامت الحياة فى كل حى ، يتهجد ويتعبد ، ساجداً راكعاً ، قارئاً مرتلا ؛ يناجى ربه فى هدأة الليل وسكونه ، يسأله ويستغفره ، فما يبرح حتى تخونه قوته ، ويهن عزمه ، وتضطرب مفاصله ، من أثر الاندفاع والبرد فى وقت معاً ؛ فيرتد إلى حجرته يتكفأ فى طريقه...

وانطلق - ذات مرة - إلى حيث ينطلق كل ليلة ، وقد تأججت فى نفسه ثورة الحقد على رئيسه جياشة مضطرمة ، تكاد تعصف بإيمانه وعقيدته ... انطلق والبرد يزلزل أعصابه ويتغلغل فى أوصاله وهو فى طريقه لايتململ ولايعبأ ... وسجد فى محرابه ... غير أن صوتاً موسيقياً عذباً هادئاً رن فى مسمعيه فنزعه من أخيلته ، فأنصت يتسمع ... ثم استوى جالساً ، وحدق فيما حوله يريد أن يستشف أمراً ، وبدت عليه الدهشة حين رأى ضوءاً خافتاً يضطرب فى أرجاء الدير يزداد سطوعه رويداً رويداً ، وتعلو معه نغمات الموسيقى فتزداد حلاوة ووضوحاً

ورنت الموسيقى الإلهية فى جنبات المعبد ، وارتفعت الأصوات الملائكية تنشد نشيداً عذباً يرقق القلب ، ويبعث فيه الروعة والجلال . وخيل إليه أن الرسوم والأحجار والسقف والحوائط و ... جميعاً تردد هذا النشيد فى رنات سماوية ، وأحس بالناى الإلهى تحت ركبتيه تنبعث منه أهازيج يطرب لها الفؤاد ، وتهتز النفس ،

واستولت على الراهب الحيرة فما استطاع ان يبرح مكانه ... ثم أرهف سمعه فاذا الصوت ينبعث من ناحية المحراب أولا ثم يمسك ، فيندفع كل ماحوله يرتلون الأنشودة فى صوت فيه السحر والجمال ، وترتفع رنات الموسيقا لتزيد النشيد طلاوة وحلاوة ، وبدا له المكان يهتز طرباً كانه يرقص مع النغم الشجى المنبعث من هنا ومن هناك

وتراءت له صور الملائك تضطرب فى هذا الضوء الإلهى الساطع ، وفى أيديهم المعازف ، وخيل إليه أن هذه الأشباح رسوم صورها له خياله فحسب ، فانتفض من مكانه يحدق ذات اليمين وذات الشمال ، ويتحسس بيديه نواحى المكان ، وحين بدا له أن ما يرى حقاً لامرية فيه ، اضطرب ، وزالت عنه شجاعته ، وجمد فى مكانه وقد سيطر عليه الفزع والخوف ، غير أن صوتاً لذيذاً رن فى مسمعيه يطمئن نفسه :

نحن الملائك نبتهل إليك يارب
نحن الملائك نبتهل إليك يارب

وأجال بصره فرأى على جانبى المحراب ملكين يترنمان :
على مر الأيام والليالى ونحن نسبح بحمدك يارب

ونقدس اسمك العظيم يارب ، مادام هذا الكون اللانهائي .

ومن بين شفتيهما يتصاعد النفس فينعقد سحباً كثيفة بيضاء في أعلى المكان ، فاستشعر في نفسه الخور والضعف غير أن حب الاستطلاع دفعه إلى المحراب ليرى ..

واستطاع أن يرى رسوم الملائك والملوك على أستار المعبد تردد هي أيضا هذه الأغنية

والصور على زجاج النوافذ ترتل هي أيضا الأغنية

ورؤوس الملائكة المنحوتة في رخام المعبد ترتل الأغنية

والأسد والدواب المرسومة هنا وهاهنا ترتل هي الأخرى الأغنية

وتماثيل القديسين المنثورة في نواحي المكان ترتل هي أيضا الأغنية .

والرسوم على الجدران ترتل أيضا الأغنية

وبدا له أن كلمات هذه الأغنية قد رسمت بحروف من ذهب يتوهج فيخطف البصر . على دروع الملوك والأمراء وذوى الجاه في سقف المعبد ؛ والجميع يهزجون ويهتزون من فرح ومن سرور كأنهم أحياء . وتصاعدت أنفاسهم إلى سماء المعبد ، سحبا تغطى السقف وتحيط بالأعمدة ، ثم أمسك الجميع سوى رنات الناقوس العظيم في أعلى المحراب

وملأ مسمعي توماس صوت يردد الأغنية خارج المعبد في نبرات أخاذة شجية ، يخترق سكون الليل وظلامه ليستقر في أذنيه هو . إنه ... إنه منبعث من حجرة التماثيل ، حيث الملوك والملكات ، حيث الأمراء والعظماء ، حيث الكهنة والشهداء ، حيث القسس والرهبان ؛ قد صففت تماثيلهم الفضية والبرنزية والرخامية والحجرية . لقد أجابوا جميعاً دعوة الداعي فانطلقوا يترنمون بالأغنية الالهية في طرب ولذة ... وهدأت الموسيقى خارج المعبد لتبدأ مرة أخرى داخله ، ثم ... ثم اندفعوا جميعاً بصوت فيه العذوبة والحلاوة يرددون :

على مر الأيام والليالى ونحن نسبح بحمدك يارب ،

ونقدس اسمك العظيم يارب ؛ مادام هذا الكون اللانهائي

واصطرعت في رأس توماس أفكار متناقضة فما استطاع سوى أن يرفع عقيرته :

يا إلهى ، فليشملنا عفوك وغفرانك ؛

فليشملنا عفوك وغفرانك يا إلهى !

ثم تراخت قوته فانطرح على الأرض ذاهلا ...

***

وأفاق فما وجد إلا الظلام يشمل الأرض ، وإلا السكون يسيطر على الكون ، وإلا مصباحه الضئيل يضطرب في ناحية من المعبد ... فارتد إلى حجرته وقد آلمه ما نازعته إليه نفسه من حقد على عبد من عباد الله الصالحين ، حباه الله بفضل من لدنه . فبذل فضل جهده في العناية بمخلوقاته الخرساء الصماء ، وفي تنسيق قطعة من أرض الله لتكون جنة الله على أرضه ، ونزع ما في صدره من غل ، فأيقن أنه إن لها الإنسان عن ذكر ربه ففي الكون مخلوقات ماتفتأ تردد مادامت السموات والأرض :

... نحن نسبح بحمدك يارب ،

ونقدس اسمك العظيم يا رب ؛ ما دام هذا الكون اللانهائي

كامل محمود حبيب